فیودور دیستوفیسکی

فيودور
ديستوفيسكى

أسامة عبد الرحمن

مقدمة

يمكن قول الكثير حول الأثر الذي تركه دوستويفسكي في العالم، ويمكن قول كلام أكثر حول الأثر العظيم الذي تركته قراءة دوستويفسكي على، أسئلة كثيرة لا زالت مطروحه بفعل قراءة رواياته العظيمة، وارتباكات سلوكية تسببت بها محاولات الدخول إلى عقول شخصياته المتطرفة التي حَفِلت بها كتبه، لكنني الاعجاب به لا يكاد يفارق ملايين أثرَّت فيهم روايات الكاتب الروسي الأشهر، وفي السطور التالية سنقرأ مجموعة مما تحفل به الكتب من كلام حول عالم النفس الروائي فيودور ميخالوفيتش دوستويفسكي.

الفرنسي أندريه جيد دوستويفسكي يقول هو واحد من أكثر مفكري القرن التاسع عشر شهرة وإثارة للجدل، يقوم باقتباس فريدريك نيتشه إذ يقول: دوستويفسكي هو الوحيد الذي أفادني في علم النفس، كان اكتشافي له يفوق أهمية

اكتشاف ستاندال وبالانتقال إلى الأرجنتين يقول لنا عظيم كتّاب أمريكا اللاتينية بورخيس:إكتشاف دوستويفسكي يشبه اكتشاف الحب للمرة الأولى أو مثل اكتشاف البحر فهو علامة على لحظة هامة في رحلة الحياة.

وبما أننا قد بدأنا بالمقارنات فإليكم ما قاله أندريه جيد :هو أي دوستويفسكي لا تولستوي من يجب ذكره إلى جانب إبسن ونيتشه، وقد لا يكون دوستويفسكي في مستواهما فحسب، بل ربما كان أعظم شأنا منهما أيضًا وعنه كذلك يقول جورج ستاينر :أعظم العقول الدرامية بعد شيكسبير!.

فإلى ديستوفيسكى لنتعرف عليه أكثر.

أسامة عبد الرحمن

الباب الأول
حياته الشخصية

من هو؟

فيودور ميخايلوفيتش دوستويفسكي (11 نوفمبر 1821 - 9 فبراير 1881) هو روائي وكاتب قصص قصيرة وصحفي وفيلسوف روسي وهو واحدٌ من أشهر الكُتاب والمؤلفين حول العالم رواياته تحوي فهماً عميقاً للنفس البشرية كما تقدم تحليلاً ثاقباً للحالة السياسية والاجتماعية والروحية لروسيا في القرن التاسع عشر، وتتعامل مع مجموعة متنوعة من المواضيع الفلسفية والدينية.

بدأ دوستويفسكي فى الكتابة في العشرينيّات من عُمره، وروايته الأولى المساكين نُشِرت عام 1846 وعمره 25 وأكثر أعماله شُهرة هي الإخوة كارامازوف، والجريمة والعقاب، والأبله، والشياطين وأعمالُه الكامِلة تضم 11 رواية

طويلة،و3 روايـات قصيرة، و17 قصة قصيرة، وعـدداً من الأعمال والمقالات الأخرى لعديدُ من النُقّاد اعتبروه أحد أعظم النفسانيين في الأدب العالمي حول العالم وهو أحد مؤسسي المذهب الوجودي حيث تُعتبر روايته القصيرة الإنسان الصرصار أولى الأعمال في هذا التيّار.

طفولته 1821–1835

ولـد فـيـودور دوستويفسكي فـي 11 نوفمبرعام 1821 بموسكو، وهو الابن الثاني لوالديه وترعرع في منزل العائلة قرب مستشفى ماريانسكي للفقراء الذي يُعتَبر حيّاً فقيراً من الطبقة الدنيا على طرف موسكو كان دوستويفسكي خلال لعبه في حديقة المستشفى يشاهد المرضى المُتألّمين، والذين يُعتَبروا أسوأ المرضى حظاً حيث أنهم من الطبقة الدنيا.

وبدأ قراءته الأدبية في عُمرٍ مُبكّر من خلال قراءة القصص الخيالية والأساطير من كُتّاب روس وأجانب توفّيت والدته والدته ماريا فيودوروفنا دوستويفسكايا عام 1837 عندما كان عُمره 15 سنة،

نشأته وصِباه

كان الأب يتسم بالتجبر والقسوة في معاملة الجميع حتى أبناءه، أما الأم فلم ينعم الأطفال برعايتها وطيبتها الخالصة كثيرًا فوافتها المَنيّة قبل أن يكمل بطل حلقاتنا عامه السادس عشر، ليرث عنها الصبي تلك النزعة الإيمانية التي كانت تتسم بها،ويهرب من جبروت والده بالانغماس في القراءة التي أصبحت ملاذه الوحيد بعد فقد والدته.

تلك السنوات العِجاف التي قضاها ديستوفيسكي بعد وفاة والدته شكلت صِباه ووجدانه، حبه للقراءة وملازمته للكتب فتح له نوافذ مختلفة على عالم أرحب من قسوة والده، فأحب العديد من الكُتاب الذين اعتبرهم مثله الأعلى في ذلك الوقت مثل؛ نيكولاي جوجول، إرنست هوفمان، وأونوريه دو بلزاك.

ولأن الرياح دائمًا تأتي بما لا تشتهي السفن، قرر والد ديستوفيسكي وجوب التحاقه بكلية الهندسة الحربية بسانت بطرسبرج رغم عِلمه برغبة ابنه في أن يصير كاتبًا، رضخ الشاب لرغبة والده والتحق بالفعل بكلية الهندسة حيث انهى

فترة الدراسة ولكنه ترك مجال الهندسة بعد مقتل أبيه في ظروف غامضة أثناء غيابه، ليطوي بعدها صفحة سوداء من حياته مليئة بتحكمات الأب الذي لم يوّرثه سوى مرض الصرع منذ أن كان في التاسعة من عُمره.

بدأ ديستوفيسكي العمل في مجال الأدب عام 1844، وكانت أول أعماله عبارة عن ترجمة لرواية بلزاك أو أوجيني جراندي نُشِرت تلك الترجمة في صحيفة سانت بطرسبرج آنذاك، وبعدها بعامين قام بتأليف أولى رواياته الفقراء وهو ابن الرابعة والعشرين ربيعاً، فأثارت الرواية ضجة غير مسبوقة في الوسط الأدبي، وتهافت القراء عليها، حتى إن أشهر نقاد الأدب وقتها فيساريون بلنسكي أثنى على أسلوبه وقدرته الهائلة على اختراق الطبقات الاجتماعية ورصدها بمنتهى الدقة، مُعلنًا بذلك ولادته الأدبية الآن أصبح لدينا من يخلف جوجول، في إشارة لديستوفيسكى الذى مُنِح بتلك المقولة بطاقة العبور إلى عالم الشهرة، لتتوالى بعدها إبداعاته التي أثرت الأدب الروسي فكان منها؛ المساكين، قلب ضعيف، وشجرة عيد الميلاد والزواج.

وفي نفس الوقت ترك المدرسة والتَحق بمعهد الهندسة العسكرية وبعد تَخرّجه عَمِل مُهندساً واستمتع بأسلوب حياةٍ بـاذِخ، وكـان يُترجم كُتباً في ذلـك الوقت أيضاً ليكون كدخلٍ إضافيّ له في مُنتَصف الأربعينيات كَتب روايته الأولى المساكين التي أدخلته في الأوساط الأدبية في سانت بطرسبرج حيث كان يعيش

وقـد أُلـقـيَ القبض عليه عـام 1849 لانتمائه لرابطة بيتراشيفسكي وهي مجموعةٌ أدبية سريّة تُناقِش الكتب الممنوعة التي تنتقد النظام الحاكِم في روسيا وحُكِم عليه بالإعدام، ولكن تم تخفيف الحُكم في اللحظات الأخيرة من تنفيذه، فقضى 4 سنوات في الأعمال الشاقّة تلاها 6 سنوات من الخدمة العسكرية القسرية في المنفى.

في السنوات اللاحقة، عَمِل دوستويفسكي كصحفيّ، ونَشر وحرّر في العديد من المجلّات الأدبية، وعُرِفت تلك الأعمال بـ مذكرات كاتب وهي عبارة عن مجموعة مُجمّعة من مقالاته خلال أعوام 1873-1881 وقد واجه صعوبات مالية بعد أن

سافر لبلدان أوروبا الغربية ولعب القِمار ولبعض الوقت، اضطر فيودور للتسوّل من أجل المال، لكنه في نهاية المطاف أصبح واحداً من أعظم الكُتّاب الروس وأكثرهم تقديراً واحتراماً، وقد تُرجِمت كتبه لأكثر من 170 لغة وقد تأثر بعدد كبير من الكُتّاب والفلاسفة في ذلك الوقت منهم: كيركجور، وبوشكين، وجوجول، وأوجسطينوس، وشكسبير، وديكنز، وبلزاك، وليرمنتوف، وهوجو، وآلان بو، وأفلاطون، وثيربانتس، وهيرزن، وكانت، وبلنسكي، وهيجل، وشيلر، وباكونين، وساند، وهوفمان، وميتسكيفيتش وكانت كتاباته تُقرأ على نطاق واسع داخل وخارج موطنه روسيا، وأثّرت على العديد من الكُتّاب الروس وغير الروس منهم جان بول سارتر، وفريدريك نيتشه، وأنطون تشيكوف، وألكسندر سولجنيتسين.

كان والِدا دوستويفسكي والده ميخائيل أندريفيتش دوستويفسكي ووادته ماريا فيودوروفنا دوستويفسكايا جُزءاً من عائلة ليتوانية نبيلة مُتعدّدة الأعراق والمذاهب الدينيّة من مدينة بينسك، مع جذور يرجع تاريخها للقرن السادس عشر وشَمِلت عائلته أفراداً مسيحيين من الكنيسة الروسية

الأرثوذكسية،والكنيسة الرومانية الكاثوليكية، والكنيسة الكاثوليكية الشرقية عائلته من جهة والده كانوا رجال دين، أما من جهة أمه فكانوا تُجّاراً كان من المتوقّع أن يُصبِح والده ميخائيل كاهناً أيضاً، ولكنّه كسر قاعدة العائلة وفرّ بعيداً.

اطّلع دوستويفسكي على الأدب منذ صغره في الثالثة من عمره، كان قد طالَع الملاحم البطولية والحكايات والأساطير الخرافية، كُلّ هذا كان عبرَ مُربيتِه ألينا فرولوفنا التي أثّرت عليه كثيراً في طفولته وعندما بلغ الرابعة، قامت أمّه بتدريسه الكتاب المقدس ليتعلم من خلاله القراءة والكتابة وقد عرّفه والداه بمختلف أنواع الأدب، من ضمنهم الأدباء الروس مثل كرامزين وبوشكين وديرزهافين؛ والأدب القوطي مثل آن رادكليف؛ والأدب الرومانسي لأعمال شيلر وجوته؛ والحكايات البطولية لـ ثيربانتس ووالتر سكوت؛ وملاحم هوميروس وقد ذكَر دوستويفسكي ذلك، بأن والديه كانا السبب الرئيسي لتعلّقه بالأدب وذلك بسبب قصص ما قبل النوم التى كانا يقرآنها له وبعض تجارِبه في طفولَته أثّرت على كتاباتِه لاحقاً، عندما كان فى التاسعة من عمره، تعرّضت فتاة للاغتصاب من قِبَل رجلٍ

مخمور، تلك الحادثة عَلِقت في ذهنه، وظهر موضوع الرجل الذي يعتدي على الفتيات في الإخوة كارامازوف والشياطين وغيرها من المؤلّفات.

وعلى الرغم من أن جسد دوستويفكسي كان نحيفاً وغير قوي، فقد وصفه والداه بكونِه متهوّراً وعنيداً ووقحاً، كان والد فيودور مُتديّناً بطبعه، أرسَله لمدرسة داخليّة في فرنسا ومن ثم إلى مدرسة تشيرماك الداخلية ووُصِفَ هناك بأنه ذو وجهٍ شاحب وانطوائي ورومانسي ولدفع الرسوم المدرسية، اقترض والده المال ووسّع عمله الطبي الخاص.

حياته المهنية المبكرة

في عام 1809 التحق ميخائيل دوستويفسكي البالغ من العمر 20 عاماً بأكاديمية موسكو الطبية الجراحية ومن هناك تم تعيينه في مستشفى موسكو، حيث عَمِل كطبيب عسكري، وفي عام 1818، صار كبير الأطبّاء وفي 1819 تزوج ماريا نيشاييفا في العام التالي، وتولى وظيفة في مستشفى ماريانسكي للفقراء وبعد ولادة أول ابنَيه الاثنين ميخائيل وفيودور، تمت

ترقيته لمساعدٍ جامعي، وهو اللقب الذي جَعله من طَبقة النُبلاء ومكّنه من شراء عقار صغير في داروفوي، وهي بلدة على بُعد 150 كم من موسكو، حيث كانوا يستجّمون في الصيف هناك كان فيودور الابن الثاني لأبويه، وكان هناك 7 أبناء آخرين هم: ميخائيل، فارفارا أندريه، ليوبوف (ولد وتوفي عام 1829)، فيرا، نيكولاي وألكساندرا.

شعر دوستويفسكي بالخروج من مكانه بين زملائه الأرستقراطيين في مدرسة موسكو، وانعكست التجربة لاحقاً في بعض أعماله، ولا سيما رواية المراهق.

معتقداته الدينية

كان دوستويفسكي مسيحياً أرثوذكسياً، نشأ في أسرة دينية وعرف وتعلّم الإنجيل من سن مبكرة وقد تأثّر بترجمة يوهانس هوبنر للإنجيل مئة وأربع قصص خفية في العهد القديم والجديد للأطفال وكان يحضر الكنيسة أيام الأحد بانتظام في سنّ مبكرة كذلك، ويشارك في الزيارة السنوية إلى دير سانت سيرجيوس وعلمه الشماس الذي كان في المشفى تعاليم دينه

من بين ذكريات طفولته كانت الصلوات التي كان يقرأها أمام الضيوف ويقرأها من سفر أيوب عندما كان صغيراً.

وفقاً لأحد الضباط في الأكاديمية العسكرية، كان دوستويفسكي مُتمسّكاً بدينه، يتبع الممارسة الأرثوذكسية، ويقرأ بانتظام الأناجيل، ويقرأ كذلك كتاب هاينريش زكوك Die Stunden der Andacht والذي هو عبارة عن كتاب ديني خالٍ من الأوامر العقائدية ويركّز فقط على حب المسيح وتطبيق حبه في المجتمع هذا الكتاب لاحقاً أثّر في آراءه الاشتراكية المسيحية من خلال تجميعه لآراء هوفمان وأوجين سو وبلزاك وجوته ورأيه الخاص، صنع لنفسه مذهباً دينياً خاصاً على غرار الطوائف المسيحية الأخرى وبعد اعتقاله وسجنه، ركز بشكل مكثف على شخصية المسيح وعلى العهد الجديد، وهو الكتاب الوحيد المسموح به في السجن في رسالة يناير/كانون الثاني 1854 إلى المرأة التي أرسلت له العهد الجديد، كتب دوستويفسكي:أنا كطفل شكّاك ليس لدي إيمان حتى اللحظة، وأوقن بأني سأبقى كذلك إلى القبر ولو أثبت لي شخص ما أن الحقيقة ليس المسيح، يجب أن أختار البقاء مع المسيح بدلاً

من الحقيقة.

خلال مكوثه في سيميبالاتينسكي، عاد إيمان دوستويفسكي لقلبه بعد تأمله المتواصل في السماء وقد وصفه صديقه رانجل بقوله:لم يذهب إلى الكنيسة في تلك الفترة، وكره الكهنة وخاصة السيبيريين منهم، لكنه كان يتحدث عن المسيح بشكل مطرد وقد تعرّف دوستويفسكي على الإسلام وطلب من أخيه إرسال نسخة من القرآن الكريم له من خلال زياراته إلى أوروبا الغربية ومناقشاته مع هيرزين وجريجوريف وستراخوف تعرّف على حركة البوكفنيتشيستفو ونظرية أن الكنيسة الكاثوليكية قد اعتمدت مبادئ العقلانية والقانونية والمادية والفردانية من روما القديمة ومررتها للبروتستانتية وبالتالي إلى الاشتراكية الملحدة.

علاقاتُه خارج الزواج

أولى علاقات فيودور المعروفة كانت مع فتاة تُدعى أفدوتيا ياكوفليفنا التي التقى بها في جمعية بانايف أوائل عقد الأربعينات 1840 وقد وصفها بأنها تلميذة مُتعلّمة مهتمة بالأدب وأنها امرأة

فاتنة لعوب وقد قال في وقتٍ لاحق علاقتهما غير واضحة وغير متأكد منها ووفقاً لمذكّرات آنا عن زوجها، بأنه قد طلب الزواج منها مرّة ولكنها رفضت وكانت عشيقة دوستويفسكي الثانية هي الكاتبة بولينا سوسلوفا وكانت علاقة قصيرة ولكنّها حميمّة بلغت ذروتها في شتاء 1862-1863 التقت سوسلوفا به في إحدى المحاضرات التي كان يُلقيها حيث كانت محاضراته تحظى بشعبية كبيرة بين الشباب في ذلك الوقت، كان دوستويفسكي في الـ40، وكانت هي في الـ21 وكانت العلاقة صعبة ومؤلمة لكلا الطرفين، خاصة دوستويفسكي حيث كان مُرهقاً وقواه مستنزفة من العمل وحالته الصحيّة والمالية سيئة وكانت سوسلوفا متعجرفة وغيورة، وكانت تُطالبه باستمرار بتطليق زوجته ماريا وبعد وفاة ماريا في عام 1865، طلب الزواج منها لكنها رفضت وعلى عكس زوجته الثانية آنا، نادراً ما كانت سوسلوفا تقرأ كتبه، ولم تحترم أعماله، وبعد انفصالهم حرقت كُل الرسائل بينهما وقد وصفها دوستويفسكي في إحدى رسائله بأنها أنانية ومغرورة، وبعدها ذكر:ما زلت أحبها، ولكن لن أحبها أكثر من ذلك، فهي لا تستحق هذا في عام 1858 أحبت دوستويفسكي الممثلة

الهزلية أليسكاندرا إيفانوفنا شوبرت، وكانت قد انفصلت عن صديقه ستيبان يانوفسكي لتوّها لم يبادلها دوستويفسكي نفس الشعور ولكنّهما كانا صديقين جيّدين وخلال عمله في مجلة Epoch تعرّف على مارثا براون، وعلاقته معها عُرِفَت فقط من خلال الرسائل المكتوبة بين نوفمبر 1864 ويناير 1865 وفي عام 1865 ،التقى دوستويفسكي بالناشطة النسوية والاشتراكية آنا كورفين، لم يتم معرفة طبيعة علاقتهم، وقالت زوجته آنا أنها كانت علاقة جيّدة، بينما قالت شقيقة كورفين أنها رفضته.

الباب الثانى
توجهاته السياسيّة

قرأ دوستويفسكي في شبابه تاريخ الدولة الروسية للمؤرّخ الروسي نيكولاي ميخائيلوفتش كرامزين، الذي أشادَ بمبادئ المُحافظين وباستقلال وسيادة الدولة الروسيّة، وهي الأفكار التي تبنّاها فيودور في وقتٍ لاحق وقبل اعتقاله بسبب رابطة بيتراشيفسكي التي كان أحد أعضائها عام 1849، ذكر دوستويفسكي أنه ليس هناك فكرة أسخف من أن تكونَ الحكومة جمهورية في روسيا وفي عام 1881، في مُذكَراته ذكر دوستويفسكي أن الشعب والقيصر يجب أن يكونوا صفّاً واحداً:بالنسبة للشعب، القيصَر ليس سلطة خارجيّة، ليس سُلطة لبعض الناس بل هو قوّة وسلطة لجميع الناس، وهي قوة لتوحيد جميع الناس.

كان مُتشككاً حول إنشاء الدستورية الملكية واعتبره مفهوماً

دخيلًا على الثقافة ولا علاقة له بالتاريخ الروسي ووصفه بأنه سلطة النبلاء وأن الدستورسيستعبد الناس أكثر بكل بساطة ودعى للإصلاح الاجتماعي بدلاً من ذلك، فمثلاً إزالة النظام الإقطاعي وتقليص الفروق بين طبقة الفلّاحين والطبقة الغنية أفكاره كانت يوتيوبية ذو نزعة دينية مسيحية نوعاً ما :إذا كان الجميع مسيحيين، سيتم حل جميع المشاكل والمسائل كما اعتقدَ أن الديمقراطية والأوليجاركية أنظمة سيئة، وكتب بخصوص فرنسا: الأوليجاركية تهتم فقط بمصلحة الأثرياء بدرجة أولى، أما الديمقراطية تهتم بمصلحة الفقراء فقط؛ ولكن مصلحة المجتمع، ومصلحة فرنسا ومستقبل فرنسا بأكمله لا أحد يُزعج نفسه بالتفكير فى هذه الأمور وأكد أن الأحزاب السياسية أدت في النهاية إلى خلافات اجتماعية وفي ستينيات القرن التاسع عشر، اكتَشَف حركة البوكفنيتشيستفو وهي حركة شبيهة بالسلافوفيليا في رفضها للثقافة الأوروبية والحركات الفلسفية المعاصرة مثل العدمية والمادية اختلفت البوكفنيتشيستفوتية عن السلافية في أنها تحاول جعل روسيا بلداً أكثر انفتاحاً وجعل روسيا دولة أوروبية سياسياً وثقافياً كما حاول بطرس الأكبر فعله.

في مقالته الغير مكتملة الاشتراكية والمسيحية زَعم دوستويفسكي أن الحضارة المرحلة الثانية من تاريخ البشرية قد تدهورت وأنها تتوجّه نحو الليبرالية بخطى متسارعة وتفقد إيمانها بالله وأكد أنه ينبغي استعادة المفهوم التقليدي للمسيحية واعتبر أن هذه الأزمة هي نتيجة للاصطدام بين المصالح الطائفية والفردية، الناجمة عن تراجع المبادئ الدينية والأخلاقية كانت هناك ثلاث أفكار سائدة في عصره، الكاثوليكية الرومانية والبروتستانتية والأرثوذكسية الروسية بالنسبة للكاثولوكية الرومانية قال أنها واصلت التقاليد الإمبراطورية الرومانية وأصبحت بالتالي مُعادية للمسيحية حيث أن اهتمام الكنيسة بالشؤون السياسية والدنيوية أدى إلى التخلي والبعد عن فكرة المسيح وبالنسبة له، كانت الاشتراكية أحدث تجسيد للفكرة الكاثوليكية وحليفها الطبيعي وجد البروتستانتية متناقضة، وادّعى أنها ستفقد السلطة والروحانية في نهاية المطاف واعتبر أن الأرثوذكسية الروسية هي الشكل المثالي للمسيحية.

خلال الحرب الروسية التركية، أكد دوستويفسكي أن الحرب قد تكون ضرورية إذا كان من وراءها الحرية والخلاص وأعرَب

عن أمله في استعادة الإمبراطورية البيزنطية المسيحية، وفي تحرير السلاف البلقان وتوحيدهم مع الإمبراطورية الروسية وهزيمة الدولة العثمانية كما يُظهِر في كتاباته سواءً كانت روايات أو مقالات معاداة للسامية، وفي أحيانٍ أخرى يكتب عن اليهود ويدافع عنهم وكثيراً ما أظهرت مُذكّراته تلك المُعاداة.

النفي إلى سيبيريا 1849–1854

كانت رابطة بيتراشيفسكي مجموعَة مناقشة أدبيّة فكريّة تُناقش قضاياها المُعاصرة في ذلك الوقت بشكلٍ شبه سرّي وضمن المجموعة مُهندسين وأطباء وكُتّاب ومعلمين وطُلّاب ومسؤولين حكوميين وضبّاطٍ في الجيش وقد اختَلفوا في وجهات نظرهم السياسية، بيد أن مُعظَهم كانوا مُعارضين لاستبداد القيصر والعبودية الروسية قام أعضاء المجموعة باستنكار وتنديد أفعال إيفان ليبراندي وهو مسؤول في وزارة الشؤون الدولية وقد اتُهِم دوستويفسكي بقراءة الكتب والأعمال المحظورة والمساعدة في نشرها وتعميمها، بالأخص كتاب بلنسكي رسالة إلى جوجول وكيل الحكومة والرجل الذي كتب تقريراً عن المجموعة، ذكر في بيانِه

أنهم دائماً ما ينتقدون السياسة الروسيّة والدين وقد ردّ فيودور عن هذا الادّعاء بقولِه أنه كان يقرأ مقالاتٍ وحسب وهي تتحدّث عن الشخصيّة والأنانية البشرية بشكلٍ عام وليس عن السياسة في النهاية اعتُقِلَ هو وأعضاء المجموعة المُتآمرون على حدّ وصف الحكومة في 23 أبريل 1849 بناءً على طلب الكونت أ. أورلوف وأمر القيصر نيكولاي الأول خوفاً من تَبِعات ثورة 14 ديسمبر في روسيا وثورات الربيع الأوروبي عام 1848وقد احتَجِزَ الأعضاء في معقل بيتر وبول التي كانت بدورها تضمّ أخطَر المُدانين.

استمرّت القضيّة محل تحقيق لأربع شهور من قبل لجنة تحقيق برئاسة القيصر مع الجنرال ايفان نابوكوف وعضو مجلس الشيوخ الكونت بافيل جاجارين والكونت فاسيلي دولجوروكوف والجنرال ياكوف روستوفتسيف ووالجنرال ليونتي دوبيلت رئيس الشرطة السرية وحكموا على أعضاء المجموعة بالإعدام بإطلاق النار، وأُخِذَ السجناء إلى سيميونوف بلاس في سان بطرسبرج لتنفيذ الحكم في 23 ديسمبر 1849 حيث انقسموا إلى مجموعات من ثلاثة أفراد، وكان دوستويفسكي الثالث في الصف الثاني

وبجانبه وقف بليششيف ودوروف جاهزين للإعدام ولكن في آخر لحظة وقبل تنفيذ الحكم بحقهم صدر مرسوم قيصري يقضي باستبدال الإعدام بأربعة أعوام من الأعمال الشاقة في مقاطعة اومسك بسيبيريا.

خدم فيودور أربع سنين من السجن والأعمال الشاقة في معسكر سجن كاتورجا في أومسك في سيبيريا، تليها فترة الخدمة العسكرية الإلزامية وبعد رحلة مدتها أربعة عشر يوماً وسط العواصف والثلوج، وصل السجناء إلى توبولسك المحطّة التي يرتاح فيها السُجناء، كانوا بائسين مُعدَمين، وحاول فيودور مواساتِهم، مثل إيفان ياسترزيمبسكي الذي فوجئ بطيبة دوستويفسكي وتخلى عن قراره بالانتحار وفي توبولسك، تلقوا الأعضاء الطعام والملابس من النساء اللاتي كُنّ هناك، فضلاً عن عدة نسخ من العهد الجديد مع ورقة نقدية من عشرة روبل داخل كل نسخة وبعد أحد عشر يوماً، وصل السجناء إلى أومسك وكان مع فيودور عضوٌ واحد من أعضاء رابطة بيتراشيفسكي وهو الشاعر سيرجي دوروف بعد سنين شرح دوستويفسكي إلى أخيه المعاناة التي تعرض لها ووصف

له الثكنات العسكرية المتداعية:في الصيف، أجواء لا تطاق في الشتاء، برد لايحتمل كل الأرضيات كانت متعفّنه القذاره على الأرض يصل ارتفاعها إلى بوصه من السهل أن ينزلق الشخص ويقع كنا محزومون كالسردين في برميل لم يكن هناك مكان تذهب إليه من المغرب إلى الفجر، كان من المستحيل أن لا نتصرف كالخنازير والبراغيث، القمل، الخنافس السوداء كانت متواجده بمكيال الحبوب.

وقد كانَ فيودور يُعتَبر من أخطر المُدانين، حيث كانت يديه وقدميه مقيدتين حتى تاريخ إعتاقه ولم يسمح له إلا بقراءة كتاب العهد الجديد وبالإضافة لنوبات الصرع التي كانت تأتيه، فقد أُصيبَ كذلك بالبواسير، وفقدان الوزن، وحمّى قوية وكان رائحة المرحاض منتشرة فى أرجاء المبنى، حيث كان هناك حمامٌ واحد يستخدمه أكثر من 200 شخص كان فيودور يُنقَل للمشفى بين الحين والآخر حيث يتمكّن من قراءة الصحف الإخبارية وقراءة روايات ديكنز وقد نال احترام معظم السجناء، واحتقار بعضهم الآخر بسبب تصريحات كراهيته للأجانب واليهود.

الخروج من السجن وزواجه الأول 1854–1866

بعد إطلاق سراحه في 14 فبراير 1854، أرسل فيودور لأخيه ميخائيل طالباً منه مساعدةً ماليّة، وأن يُرسِل له كتب ومؤلّفات كل من فيكو وجيزو ورانكه وهيجل وكانت وقد وصف حياته وهو يقضي حكم الأعمال الشاقة في روايته بيت الموتى التي صدرت في 1861 في مجلّة Vremya وتُعتَبر أول رواية تتناول السجون الروسية والسجناء كموضوعٍ لها لم تنتهي عقوبة فيودور عند هذا الحد فقد أُجبِر على الخدمة العسكرية والعمل في فيلق الجيش السيبيري من كتيبة الخط السابع، وقبل رحيلِه إلى سيميبالاتينسك حيث سيخدم هناك، التقى مع الجغرافي بيوتر سيميونوف والإثنوجرافي شوكان واليخانولي. وفي نوفمبر1854 التقى البارون الكسندر إيجوروفيتش رانجل، وهو أحد الذين حَضروا عملية الإعدام الزائفة وقد استأجر كلاهما منزل في حديقة القوزاق خارج سيميبالاتينسك وقد وصف رانجل فيودور في تلك الفترة بأنه:بدا عابساً مُتهجّماً، وجهه الشاحب مغطّى بالنمش كان متوسّط الطول، وينظر إليّ نظرة حادّة ثاقبة بعيونه الزرقاء الرماديّة تلك، كان كما لو كان يحاول

النظر في روحي واكتشاف أي نوع من الرجال كنت.

خلال خدمته في سيميبالاتينسك، أعطى فيودور دروساً خصوصيّة للعديد من الأطفال، وتواصَل مع عدد من عائلات الطبقة العليا، بما في ذلك أسرة المقدم بيليكوف الذي كان يدعوه لقراءة مقاطع من الصحف والمجلات وخلال زيارته لعائلة بيليكوف، التقى دوستويفسكي بعائلة الكسندر ايفانوفيتش إساييف وماريا دميتريفنا إيساييفا ووقع في حبّها عُيّن ألكسندر ايزايف في وظيفة جديدة في كوزنتسك وتوفّي هناك في أغسطس1855 انتقلت ماريا وابنها الوحيد مع فيودور إلى بارناول وقد حصل بطريقة ما على تصريح له بالزواج ونشر الكتب، بيد أنه سيبقى تحت مراقبة الشرطة لبقية حياته تزوجت ماريا دوستويفسكي في سيميبالاتينسك في 7 فبراير 1857، على الرغم من أنها رفضت في البداية اقتراح زواجه، وذكرت أنه لا يعني لها شيئاً، وأن وضعه المالي السيء يحول دون ذلك كانت حياتهما بشكلٍ عامٍّ معاً غير سعيدة، فقد كانت تجد صعوبة في التعامل مع نوباتِه التي تزداد بمرور الوقت وفي وصفٍ لعلاقته معها، كتب فيودور :بسبب شخصيّتها الغريبة والمرتابة والرائعة،

لم نكن سُعداء معاً، ولكن لم يتوقّف الحب بيننا وكلّما كنا أكثر تعاسة، كان الحب بيننا يزداد قوة وفي عام 1859، خرج من الخدمة العسكرية بسبب تدهور صحّته، وسُمِحَ له بالعودة إلى روسيا، فعاد بدايةً إلى تفير حيثُ التقى بأخيه لأول مرة منذ 10 سنوات، ثم توجّه لسانت بطرسبرج.

فيودور دوستويفسكي في باريس عام 1863

خلال فترة اعتقاله، كتب فيودور قصة واحدة كاملة فقط، وهي بطل صغير ونُشِرت في مجلة حلم العم وقرية ستيبا نشيكوفو لم تنشر حتى عام 1860 كما نُشِر في ذلك العام رواية بيت الموتى كذلك في مجلة Russky Mir لتليها رواية مذلون مهانون التي تُشِرت في مجلة فريميا الجديدة، المجلّة التي كانت من تحرير فيودور نفسه ومن تمويل وشراكة أخيه ميخائيل.

سافَر فيودور إلى أوروبا الغربيّة لأول مرة في 7 يونيو 1862، زار خلالها كولونيا، وبرلين، ودرسدن، وفيسبادن، بلجيكا، وباريس، ولندن وقد قابل ألكسندر هيرزن في لندن وزار قصر الكريستال وسافر مع نيكولاي ستراخوف في سويسرا

مروراً بالعديد من مدن شمال إيطاليا بما فيها تورينو وليفورنو وفلورنسا وقد دوّن انطباعاته عن تلك الرحلة في ذكريات شتاء عن مشاعر صيف، حيث انتقد في تلك المقالة الرأسمالية والتحديث والمادية والكاثوليكية والبروتستانتية، وظهر فيها مُقدِّمات أهم مبادئ فلسفته التي خلّدها برواياته لاحقاً.

بدءاً من أكتوبر 1863، بدأ فيودور رحلةً أخرى إلى أوروبا الغربية وقابل حبيبته الثانية بولينا سوسلوفا في باريس، وخسر تقريباً كُل أمواله التي راهن عليها في المقامرة في فيسبادن وبادن بادن في عام 1864 توفيت زوجته ماريا وشقيقه ميخائيل، وأصبح دوستوفيسكي الوالد القانوني الوحيد لابن زوجته، والمنفق الوحيد لعائلة شقيقه بعد فشل مجلّة Epoch التي أسّسها مع شقيقه وذلك بعد منع مجلة فريميا، ساء وضع فيودور المالي، وكان يحصل على مساعدات بسيطة من أقاربه وأصدقاءه منعاً للإفلاس الكامل.

زواجه الثاني وشهر العسل 1866–1871 .....

أوّل جزئين من الجريمة والعقاب نُشِرا في يناير وفبراير على

التوالي في 1866 في دورية The Russian Messenger مما أضاف على الأقل 500 مشترك جديد للدورية.

عاد فيودور إلى سان بطرسبرج في منتصف سبتمبر، وقابل رئيس التحرير فيودور ستيلوفسكي ووعده بأنه سيكمل المقامر وهي الرواية القصيرة التي كتبها عن مشاكل إدمان القمار أحد أصدقاءه اقترح عليه توظيف سكرتيرة لديه، فتواصل فيودور مع بافل أليخين وهو كاتِبٌ اختزالي أوصى بتلميذته البالغة 20 عاماً آنا جريجوري سنيتكينا، وساعدته على إنهاء المقامر خلال 26 يوماً من العمل آنا تُعتَبر من أهم المؤرّخين لحياة فيودور، حيث أصدرت كتابين اثنين لحياته تقول هي في مذكراتها، أن فيودور شاركها في حبكة رواية جديدة تخيليه، كما لو أنه كان يحتاج إلى نصحها في فهم نفسية الأنثى في تلك الرواية، رسام كبير في السن يتقدم لخطبة فتاة صغيرة كان أسمها آنيا سألها فيودور عما إذا كان من الممكن لفتاة صغير في السن مختلفة في الشخصية أن تقع في حب رسام أجابت آنا أن ذلك ممكن جداً ومن ثم قال فيودور لآنا:ضعي نفسكِ في مكانها للحظة تخيلي أني أنا الرسام، أنا أعترف وأطلب منك ان تكوني زوجتي

ماذا سيكون جوابك؟ أجابت آنا :سأجيب بأني أحبك وسأحبك للأبد.

في 15 فبراير1867 تزوج دوستويفسكي سنيتكينا في كاتدرائية الثالوث في سانت بطرسبرج الـ7000 روبية التي جمعها دوستويفسكي من الجريمة والعقاب لم تُغطّي ديونهم، مما دفع آنا لبيع ممتلكاتها الثمينة في 14 أبريل 1867، بدأوا شهر عسلٍ متأخر في ألمانيا بالمال الذي كسبوه من البيع أقاما في برلين، وزارا معرض جيمالديجاليري ألت مايستر في درسدن وتلك الزيارة التي كانت محلّ إلهامٍ لكتاباته وأكملا رحلتهم عبر ألمانيا وزارا فرانكفورت ودارمشتات وهايدلبرج وكارلسروه وقضيا خمسة أسابيع في بادن بادن حيث تشاجر هناك مع إيفان تورجينيف ومرة أخرى خَسِر معظم أمواله في لعب الروليت.

في سبتمبر 1867، بدأ فيودور بالعمل على الأبله، وبعد قضاءه فترة طويلة للتخطيط بحبكة الرواية، تمكّن من كتابة أوّل 100 صفحة في 23 يوماً فقط، وبدأت تُنشر في مجلة The

Russian Messenger في يناير 1868.

انتقلا بعد بادن بادن إلى جنيف وعاشوا فيها لأكثر من سنة، وعمل فيودور بجد لإستعادة ثروته في 22 فبراير 1868 ولدت إبنتهما الأولى صوفيا، ولكنها توفّيت بالالتهاب الرئوي بعد ثلاثة أشهر في 22 مايو ثم غادرا جنيف متوجّهين نحو فيفي ثم إلى ميلانو قبل أن يواصلا سيرهم إلى فلورنسا، حيث أنهى رواية الأبله هناك في يناير 1869 ونُشِرت في المجلة في فبراير في 26 سبتمبر 1869، في مدينة درسدن، رزقا بإبنتهما الثانية، التي أسموها لوبوف دوستويفسكي وقد تخلص فيودور دوستويفسكي من إدمانه للقمار بعد ولادة ابنته الثانية.

بعد أن سمع أنباء أن جماعة الثورية الاشتراكية قتلت أحد أعضائها وهي إيفان إيفانوف، في 21 نوفمبر 1869، بدأ دوستويفسكي كتابة الشياطين في 1871، سافرت المجموعة بالقطار إلى برلين في النهاية عادت العائلة إلى سانت بطرسبرج في 8 يوليو، وهو ما يمثل نهاية شهر العسل الذي كان من المقرر أن يكون 3 شهور واستغرق أكثر من 4 سنوات.

العودة إلى روسيا 1871–1875

بالعودة إلى روسيا إلى سانت بطرسبرج عام 1871، واجهت العائلة من جديد مشاكِلَ ماليّة فاضّطروا لبيع ممتلكاتهم المُتبقية في ذلك العام في 16 يوليو، وُلِدَ الابن الثالث فيودور، ثم انتقلوا بعد ذلك بفترة للسكن في شقة بقرب المعهد التكنولوجي وقد أَملوا فى انتهاء ديونهم عن طريق بيع بيتهم في بيسكي، إلا أن انخفاض سعر العقار في ذلك الوقت أدّى لانخفاض سعر البيت، واستمرّت المشاكل مع الدائنين واقترحت آنا جمع أموال حقوق الطبع والنشر لزوجها والتفاوض مع الدائنين لتسديد ديونها على أقساط.

قوّى دوستويفسكي صداقاته مع مايكوف وستراخوف وكوّن علاقات ومعارف جديدة، بما في ذلك سياسي الكنيسة تيرتي فيليبوف والإخوين الروائي فسيفولود والفيلسوف فلاديمير سولوفيوف وقد أثر كونستانتين بوبيدونوستسيف، المفوض السامي الإمبراطوري المستقبلي للمجمع المقدس، أثّر على تطور وتقدّم دوستويفسكي السياسي لمبادئ المحافظين وفي أوائل 1872، قضت الأسرة عدّة أشهر في ستارايا روسا وهي

مدينة سياحيّة معروفة بمياهها المعدنيّة وقد تأخر دوستوفيسكي في عمله بسبب وفاة شقيقة آنا إما بالملاريا أو التيفوس.

أنهى دوستويفسكي كتابَة الشياطين 26 نوفمبر، وكانت الأسرة قد عادت إلى سانت بطرسبرج سابقاً في سبتمبر، وقد صدرت الشياطين من قِبَل شركة دوستويفسكي للنشر التي أسّسها مع زوجته كانت الطباعة تتم في شقّتهم، وكانوا لا يقبلون سوى المدفوعات النقدية المباشرة، وقد نجح عملهم هذا وباعوا حوالي 3000 نسخة من الرواية حيث أدارت آنا الشؤون المالية واقترح فيودور إنشاء مجلّة جديدة تُسمّى مذكرات كاتب وتتضمن مجموعة مقالات، بيد أنّهم لم يستطيعا تحمّل تكلفتها، فاتّفق فيودور مع الناشر والروائي فلاديمير ميششيرسكي على نشر المقالات في مجلة المواطِن بدءاً من يناير 1873 مقابل 3000 روبل سنوياً في صيف 1873، عادت آنا إلى ستارايا روسا مع الأطفال، وبَقي فيودور في سانت بطرسبرج يعمل على المذكرات.

الباب الثالث

أعماله

فيودور ميخايلوفيتش دوستويفسكي واحد من أشهر المؤلفين في العالم والروايات التي يكتبها هذا الكاتب روايات عميقة جدًا تحتوي على فهم عميق للنفس البشرية كما أنها تناقش موضوعات فلسفية ودينية بدأ دوستويفسكي يمتهن الكتابة بعد انتهائه من الجامعة، وبدأ أول ما بدأ بترجمة روايات من اللغة الفرنسية التي تعلّمها في المدرسة ثم بدأ بكتابة القصص القصيرة، لتليها المقالات والروايات الطويلة تضمّنت أعمال دوستويفسكي 15 رواية ورواية قصيرة، و17 قصّة قصيرة، و5 ترجمات، والكثير من المقالات والرسائل لعلّ أبرز ما كتب دوستويفسكي هي روايات: المساكين، والإنسان الصرصار، والجريمة والعقاب، والأبله، والشياطين، والإخوة كارامازوف الكثير من

رواياتِه صدرت مُقسّمة لأجزاء نُشِرت في الصحف والمجلّات

الأدبية الروسية.

في 12 أغسطس 1843، عَمِل فيودور باعتباره مُهندس ملازم وعاش مع أدولف توتليبن في شقة يملكها الدكتور ريسنكامف، وهو صديق ميخائيل وصفه ريسنكامف بقوله:ليس أقل لطفاً أو أقل تهذيباً من أخيه، ولكن عندما لا يكون في مزاج جيّد كثيراً ما يُحدّق في الفراغ، وينسى الأخلاق الفاضلة، بل وأحياناً يصل لدرجة الوقاحة وفقدان وعيه بذاته في ذلك العام أنهى فيودور أولى أعماله الأدبية، وقد كانت ترجمة لرواية أوجيني غراندي من تأليف أونوريه دي بلزاك، وقد نُشِرت في عدد شهر يونيو ويوليو في مجلّة تَبِعها عددٌ من الترجمات الغير ناجحة، وصعوباته الماليّة قادته في البدء لامتهان كتابة الروايات.

أنهى فيودور دوستويفسكي روايته الأولى المساكين في مايو 1845 بعد عامَين من نشر ترجمته الأولى لبلزاك صديقه ديمتري جريجوروفيتش، الذي كان زميله في السكن في ذلك الوقت، أخذَ النُسخة الأولية للشاعر نيكولاي نيكراسوف مدير تحرير مجلة Sovremennik، وهو بدوره عرضها على الناقد

الأدبي ذو التأثير فيساريون بلنسكي وقد وصفها بلنسكي بأنها أول رواية اجتماعية روسيّة صدرت المساكين في 15 يناير 1846 كجزءٍ من مجموعة دوريّة سانت بطرسبرج ولاقت نجاحاً تجارياً.

أدرك فيودور أن مهنته العسكرية ستعرض حياته الأدبية المزدهرة الآن للخطر، لذلك كتب خطاباً يطلب فيه الاستقالة من منصبه بعد فترة قصيرة، كتب روايته الثانية الشبيه ونُشِرت في مجلة Notes of the Fatherland في 30 يناير الثاني 1846، قبل أن تُنشَر في فبراير من العام نفسه وفي الوقت نفسه، تعرّف دوستويفسكي على الاشتراكية وأفكارها من خلال قراءته للمفكرين الفرنسيين مثل فوريه وكابيه وبرودون وسايمون وخلال معرفته ببلنسكي توسّع في فلسفة الأفكار الاشتراكية وكان مُنجذباً لمنطق الاشتراكية، والحس بالعدالة واهتمامها بالفقراء المُعدَمين والمحرومين وقد توتّرت علاقته مع بلنسكي بشكل متزايد خاصّة بعد إفصاحه بأنِه ملحداً مما يتعارض مع معتقدات فيودور الأرثوذكسية الروسية، ولكن في نهاية الأمر تقبّله.

لاقت رواية الشبيه بعد نشرها نقداً سلبيّاً، وكانت صحّة فيودور تزداد سوءاً ونوبات الصرع أكثر من ذي قبل، ولكنّه واصل الكتابة خلال الفترة من 1846 إلى 1848 أصدر عدّة قصص قصيرة نُشِرت في مجلة حوليات أرض الآباء؛ من هذه الروايات السيد بروخارشين وربة البيت وقلب ضعيف والليالي البيضاء.

تلك القصص لم تلقَ نجاحاً ومعظمها قوبلت بآراء مختلفة، مما أوقع فيودور في مشاكل ماليّة مرة أخرى، لذلك انضمّ إلى رابطة بيتيكوف الاشتراكية الطوباوية التي ساعدته على النجاة من حالته البائسة عندما انتهت الرابطة، كان فيودور قد صادق أبولون مايكوف وشقيقه فاليريان مايكوف وفي 1846، وبتوصية من الشاعر أليكسي بليشتشيف انضمّ إلى رابطة بيتراشيفسكي التي أسّسها ميخائيل بيتراشيفسكي الذي طالب بإصلاحات في المجتمع الروسي كتب ميخائيل باكونين مرة إلى ألكسندر هيرزن يصف أن المجموعة كانت:أكثر رابطة عديمة الضرر وأعضائها كانوا معارضين مُنظّمين لجميع الأهداف والمعاني الثورية واستخدم فيودور مكتبة الرابطة يومَي السبت والأحد، وشاركَ في بعض الأحيان في المناقشات التي تتم بشأن التحرر

من الرقابة وإلغاء العبودية.

في 1849 نُشِر الجزء الأول من رواية نيتوتشكا نزفا نوفنا في المجلة، وكان يُخطّط لها منذ عام 1846، ولكن نفيه أنهى المشروع ولم يحاول إكمال الرواية بعد ذلك.

في مارس 1874، ترك فيودور مجلة المواطِن بسبب ضغط العمل الذي واجهه، وبسبب تدخل الحكومة الروسية البيروقراطية وخلال الـ15 شهراً التي قضاهم في المجلّة، استُدعيَ لبلاط الحاكم مرّتان، في 11 يونيو 1873 للإشارة إلى الأمير مشرشكي دون إذن، والثانية في 23 مارس 1874 عرض دوستويفسكي بيع رواية جديدة لم يبدأها بعد لمجلّة الرسول الروسي ولكنّهم رفضوا وقد اقترح عليه نيكولاي نيكراسوف نشر مذكّراته في مجلة وطن الآباء، وقال أنّه سيحصل على 250 روبل عن كل مقال، وهو أكثر بـ100 روبل مما كان سيجنيه في مجلة الرسول الروسي وهذا ما حدث بدأت صحّة فيودور فى التدهور في ذلك الوقت، ونصحه أطباء سانت بطرسبرج بالخروج من المدينة للعلاج فهو غير متوفر فيها وفي يوليو

تقريباً، التقى بطبيبٍ في إمس شخّص حالته بأن لديه التهاباً في قناة التنفس بدأ رواية المراهق، وعاد إلى سانت بطرسبرج في أواخر يوليو.

اقترحت آنا قضاء الشتاء في ستارايا روسا ليرتاح فيودور هناك، على الرغم من أن الأطباء قد اقترحوا زيارة ثانية إلى إمس لأن صحته قد تحسنت سابقا هناك في 10 أغسطس 1875 ولد ابنه أليكسي في ستارايا روسا، وفي منتصف سبتمبر عادت الأسرة إلى سانت بطرسبرج أنهى روايته المراهق في أواخر عام 1875 وكانت بعض أجزاءها نُشِرت مسبقاً في مجلة Notes of the Fatherland في يناير من نفس العام يتمحور سرد الرواية حول العلاقة بين الابن وأبيه والصراع بينهما، خاصةً الصراع الفكري، الذي يُمثِّل المعركة بين الفكر الروسي التقليدي في الأربعينيات من القرن التاسع عشر وفكر العدم الصاعد بين الشباب الروسي في الستينيات وهو الموضوع الذي تكرّر في أعمال دوستويفسكي اللاحقة.

من رواياته:

ذكريات من منزل الأموات – الجريمة والعقاب – الأبله جزءان – حلم رجل مضحك – الليالى البيضاء – حلم العم – الأخوة الأعدء – الشبيه – يوميات كاتب – الرسائل – نيتوتشكانيزفانوفا - رسائل من تحت الأرض – فى سردابى – مذكرات قبو –الفقراء – الزوج الأبدى – مذلون مهانون – المراهق – - المقامر- الشياطين....

كما أن له 221 مقالةً في يوميّاته باستثناء القصص القصيرة في غضون فترتين، في العادة تُنشَر المختارات في مجلّدين، المجلّد الأوّل يُغطِّي كتاباته من 1873 وحتى 1876، والمجلّد الثاني يُغطِّي كتاباته من 1877 وحتى 1881.

أفضل قصص قصيرة من تأليفه

1 - قصة اللص الصادق: هذه القصة نشرت في عام 1948 وتروي الراوي الذي ينهي المعاملات مع أحد المتاجر وفي يوم من الأيام يسرق لص المعطف الخاص بالراوي ويحاول القبض على اللص ولكن محاولاته باءت بالفشل ويظل يتحدث الراوي

عن هذه الواقعة مراراً وتكراراً وفي أحدى الأيام يخبر أستافي وهو بطل الرواية عن لص شريف صادفه ذات مرة.

وتكمل هذه الرواية لذكريات اللص مع أستافي وكان اللص يعيش ضنك شديد وتمزق معطفه وكان يريد شرب الكحول ولكنه لم يملك النقود فدفع أستافي النقود له حتى يشرب الكحول ومنذ هذا للحظة اتبع اللص أستافي وذهب معه إلى شقته وعاش معه وكان أستافي كل يوم يعمل ويحضر الكحول لهذا اللص الذي يعيش معه.

وفي يوم كان أستافي يعمل ترزي فصمم بنطلون لرجل غني ولكن الرجل لم يأخذ هذا البنطلون فوقع أستافي في ضائقة مالية وبحث عن البنطلون في المنزل ولكن اللص الذي كان يعيش معه هو الذي سرقه ولم يعترف بذلك إلا في نهاية القصة.

2 – قصة زوجة رجل آخر: هذه القصة قصة قصيرة نشرت في عام 1848م من تأليف دوستويفسكي وهي في الأصل قصتين منفصلتين قصة تسمى زوجة رجل آخر والقصة الأخرى تسمى رجل غيور.

وفي عام 1959 جمع دوستويفسكي القصتين معًا بعنوان زوجة رجل آخر تحت السرير ولم يغير دوستويفسكي كثيراً في أحداث قصة زوجة رجل آخر ولكن غير بعض السطور في قصة رجل غيور.

3 - قصة شجرة عيد الميلاد: وهذه إحدى قصص دوستويفسكي نشرت عام 1848 وتروى أحداث هذه القصة أن الراوي حضر حفل عيد زواج وكانت تشبه حفلة عيد الميلاد كأنها معدة للأطفال فقط وكان الهدف من هذه الحفلة إجراء محادثة مع أفراد أغنياء لهم تأثير في المجتمع لأن من الضيوف الذين حضروا الحفلة مالك الأراضي البدين وبدأ الأطفال في تلقي هدايا عيد الميلاد وكانت كل هدية وفقًا لمستواهم الاجتماعي.

وهرب أبن المربية إلى غرفة مجاورة وظل يلعب مع الأطفال الأغنياء الذين معهم ألعاب جديدة وبعد أن رفض أطفال الأغنياء اللعب معه هرب هذا الطفل وتعرف على طفلة صغيرة طلبت منه أن يحميها وظل معها وبعد خمس سنوات في نهاية القصة تزوج

هذا الشاب من تلك الفتاة.

4 - قصة السيد بروخارشين: هذه الرواية تحكي قصة رجل يسمى السيد بروخارشين نشرت في عام 1846 وتحكي عن الحياة المريرة التي يعيشها السيد بروخارشين فهو يضطر إلى توفير الطعام وفي بيته لا يجد ما ينام عليه سوى فراش مفروش على الأرض وبعد عدة سنوات يكتشف الجيران أن هذا الرجل كان في الواقع رجل غني ويخبئ أمواله تحت هذا الفراش ويعيش بهذه الطريقة.

5 - قصة الليالي البيضاء: هي من القصص القصيرة التي نشرت في عام 1948 للكاتب دوستويفسكي وهذه القصة تحكي حكاية الراوي الذي يعيش وحيداً في المدينة ويحب صاحب القصة فتاة لكن هذه الفتاة تقع في حب رجل آخر ولكنهم دخلوا في علاقة صداقة ودية وطلبت منه محبوبته أن يساعدها في كتابة رسائل غرامية إلى الرجل الذي تحبه وكانت لا تعرف أن الراوي يحبها.

وقد صرح لها الراوي أنه يحبها ولكنها شعرت بالارتباك

وطلبت منه أن يظلا أصدقاء مما جعل الراوي يشعر أكثر بالوحدة وفي أحد الليالي كانا يسيران معًا فقابلت حبيبها فتركت الراوي وأعطته قبلة وذهبت مع حبيبها الذي تراسله وتركت الراوي وحيداً.

6 - قصة التمساح: هي من قصصه نشرت في عام 1956 وهذه القصة تروي يفان ماتيفيتش وزوجته إلينا إيفانوفا مع الراوي عندما أرادا أن يزوروا تمساح يملكه رجل أعمال ألماني وقام ماتيفيتش بمضايقة التمساح فابتلعه التمساح حياً دون أن يؤذيه وشعر ماتيفيتش بالراحة داخل بطن التمساح وبدأ الراوي يتفاوض مع صاحب التمساح على شرائه ولكن صاحب التمساح طلب رقم كبير لم يقدر عليه الراوي فظل ماتيفيتش في بطن التمساح.

7 - قصة بوبوك: هي أحدى القصص القصيرة التي نشرت في عام 1873 ويمكن أن تترجم هذه القصة القصيرة إلى حبة الفاصوليا الصغيرة والقصة عبارة عن مقتطفات من حياة كاتب مكتئب وفي يوم من الأيام بعد ما حضر جنازة أحد معارفة

ظل في المقبرة يتأمل وفجأة سمع أصوات الموتى وكلامهم حول الفضائح السياسية ويفهم الراوي من ذلك أن الميتين بينهم تواصل وهم في القبور ويتسلى الميتون بأخبار الآخرين وبعد ذلك يعطس الراوي وهي عطسة يصمت بعدها الموتى فيعرف الراوي أن حتى الموتى يوجد عندهم فساد وانحلال (هذا ما يراه ديستوفيسكى لكن مانراه نحن المسلمون ان الآخرة دار حساب لا دار عمل).

8 - قصة بذيئة: هي أحد قصص دوستويفسكي نشرت في عام 1862 وتشتهر هذه القصة بالهجائية والتهكم وتروي عن مغامرات طائشة لخادم والهدف من هذه القصة هو إظهار روح الإصلاح التي عمت في روسيا في السنوات الأولى وتبدأ القصة عندما كان الراوي يشرب الكحول مع أثنين من زملائه ويعبر أثناء سكره عن رغبته في اعتناق فلسفة معاملة الطبقة الفقيرة بحسن ولطف وعندما بالغ الراوي في الشرب في الحفلة وضع نفسه في موقف سيء مع مرؤوسيه.

9 - قصة حلم رجل مضحك: هذه الرواية أحد روايات

دوستويفسكي وكتبت في عام 1877 وتروي عن رجل يتجول في شوارع سانت بطرسبرج ويتأمل كيف كان شخص مثير للضحك وفي النهاية أدرك أنه غير مهتم بأي شيء في الحياة وهذا الذي أدى به إلى فكرة الانتحار.

ويحلم صاحب هذه القصة أنه أشترى مسدس في الأشهر الماضية وقام بإطلاق النار على رأسه وكان ذلك في ليلة كئيبة والـراوي ينظر إلى السماء ورأى نجمة منفردة وبعد فترة من الزمن تأتي إليه فتاة صغيرة وهي تجري ولكنه تركها وذهب إلى بيته وعندما نام وجد في حلمه الكثير من الحقائق والمسائل المتعلقة بالإنسان التي غيرت تفكيره من فكرة الانتحار إلى تقديم المساعدات للإنسان.

10 - قصة الصبي الشحاذ عند شجرة عيد الميلاد: هذه القصة نشرت في عام 1876وتجري أحداثها في أعياد الميلاد حيث أن طفل صغير شحات يستيقظ ليلاً في البرد وعندما يصل إلى أمه يجدها جثة ويجد نفسه في بلدة غير مألوفة لديه وظل يمشي في المدينة ومر بأطفال يلعبون ويمرحون وشاهد

فتاة أعجب بها وشاهدها بعد ذلك في حفلة أخرى ودخل وراء هذه الفتاة الحفلة ولكن الناس أصاحوا فيه بالخروج وإذا بامرأة تضع في يديه عملة معدنية ويبدأ الصبي المشي في الشوارع ويشاهد اللعب في محلات لعب الأطفال وفجأة يسمع صوت أمه تناديه ليشاهد شجرة عيد الميلاد.

11 - الشبيه أو القرين: رواية قصيرة من تأليف فيودور دوستويفسكي كتبها بين عامي 1845 و1846، ونُشِرت للمرة الأولى في 30 يناير من عام 1846 في مجلة مذكرات الوطن ومن ثمّ نُشِرت مرة أخرى منفصلة في 1866 بعد أنّ نقّح فيها دوستويفسكي وتُعدُّ هذه الرواية أكثر أعمال دوستويفسكي تأثراً بنيكولاي جوجول، وعنوانها الفرعي قصيدة من بطرسبورج مقتبسه من رواية جوجول النفوس الميتة، ويرى فلاديمير نابوكوف أنّ هذه الرواية هي محاكاة لقصة المعطف من تأليف جوجول، بينما ذهب بعض النقاد إلى أنّ دوستويفسكي كتب هذه الرواية في مقابل قصة جوجول الأخرى الأنف يُنظَر إلى هذه الرواية كنسخة نفسية من أعماله الأخلاقيّة-النفسية اللاحقة، وتبرز فيها معالم الفكر الوجودي، ويُركِّز النُّقاد في تناولهم

الرواية على قضيّة البحث عن الهوية، ويكتب أحد النُّقاد أن الموضوع الرئيسي للرواية هو التأثير المُهلك للإرادة الإنسانية وبحثها المستمر عن الحرية المطلقة، بينما يبتعد بعض النُّقاد عن هذا التفسير الفردي ويرون أنّ انكسار هويّة الشخصية الرئيسية حدث بفعل البيروقراطية وأوضاع المجتمع الرديئة التي يعيش فيها.

تركِّز الرواية على ازدواج الشخصية والصراع النفسي الداخلي للشخصية الرئيسية جاكوب بيتروفيتش جولياديكين ويعمل جولياديكين موظفاً لدى الحكومة، ويصادف مراراً شخصاً يُشابهه تماماً في المظهر،لكنّه يحمل شخصيّة مناقضة للتي لديه، جولياديكين ضعيف الشخصية أمّا قرينه فهو واثق وعدواني ومنفتح رتبة جولياديكين في مجتمعه البيروقراطي منخفضة مقارنة بنبلاء طبقته، وفي الفترة الأخيرة واجه جولياديكين مشاكل نفسية، فبدأ باستشارة طبيب نفسي يخاف الطبيب على جولياديكين أن يُجنّ، ويُخبره أن نفوره من حياته الاجتماعية هو تصرُّف خطير للغاية، ويقترح عليه أن يمضي مزيداً من الوقت مع رفقائه يُقرِّر جولياديكين أن يذهب إلى حفلة ميلاد ابنة مدير

مكتبه، وبعد سلسلة من المواقف الاجتماعية الفاشلة، يخرج جولياديكين من الحفلة ويعود أدراجه إلى بيته، وفي الطريق أثناء عاصفة ثلجية يلتقي بقرينه لأوّل مرة وبقيّة الرواية تتمحور حول العلاقة بين القرينين، في البداية كانت العلاقة بين السيد جولياديكين (الشخصية الرئيسية) وجولياديكين (القرين) علاقة صداقة ودودة، ولكنّ جولياديكين الابن يستمرُّ في التدخُّل في شئون السيد جولياديكين في محاولة للسيطرة على حياته، وهكذا تتدهور العلاقة بينهما ويصيرا عدوين لذوذين يعمل القرين في نفس وظيفة ومكان عمل الشخصيّة الرئيسية، وبسبب مهارة جولياديكين الابن الاجتماعية وقوّة شخصيته يصير محبوباً بين زملائه، على عكس السيد جولياديكين، وفي نهاية الرواية يبدأ السيد جولياديكين في رؤية مزيد من النسخ المطابقة له في الشكل، ويصاب بخلل ذهني نفسي، وفي آخر الرواية يُلقَى في مصحّة نفسية تحت رعاية طبيبه السابق.

النقد

لم تكن دائماً جميع ردود الفعل لأعمال دوستويفسكي

إيجابية، عدد من النُقّاد مثل نيكولاي دوبروليوبوف وإيفان بونين وفلاديمير نابوكوف ينظرون لأعماله على أنها نفسية وفلسفية بشكل كبير جداً بدلاً من كونها فنيّة أدبية ووجد آخرون أن القصّة بذاتها مفكّكة وغير منظّمة وفوضوية واعترض آخرون مثل تورجينيف على أنها أعمال نفسية متطرفة وأنه يدخل في التفاصيل كثيراً، واعتَبَر أسلوباً في الكتابة مسهباً ومستفيضاً ومتكرراً، ويفتقر إلى التوازن وضبط النفس والذوق السليم وأشخاص مثل سالتيكوف ششيدرين وتولستوي وميخايلوفسكي وغيرهم، انتقدوا شخصيّات الروايات التي كان دوستويفسكي يُمثّل بها نفسه.

الشهرة:

تُرجِمت أعمال دوستويفسكي لأكثر من 170 لغة حول العالم بما فيها العربية ويُعتَبر الأديب السوري سامي الدروبي من أشهر وأوائل من ترجَم أعماله الكاملة إلى العربية في 18 مُجلّد مع أكثر من 11 ألف صفحة ورغم أنّه ترجَم أعمال دوستويفسكي من اللغة الفرنسية، إلّا أنها نالت شُهرة واسعة واعتُبِرت أحد

أفضل الترجمات، وقامت دار التقدم الروسية باعتماد ترجمة الدروبي في نُسخَتِهم المنشورة بدأ نشر أعمالِ دوستويفسكي المترجمة عام 1985، واستمرّ إعادة النشر حتّى اليوم، فمثلاً رواية الجريمة والعقاب أُعيدَ نشرها لأكثر من 6 مرّات بمختلف الأزمان الترجمة الفرنسية والألمانية والإيطالية عادة ما كانت تصدر بعد النسخة الأصلية بفترة وجيزة، بينما النُسخة الإنجليزية تأخّرت في الترجمة وكانت رديئة أيضاً أوّل ترجمةٍ إنجليزية لأعماله كانت من قِبَل ماري فون ثيلو في عام 1881، ولكن أول ترجمة عالية الجودة صدرت بين 1912 و1920 من قبل كونستانس جارنيت.

حوّلت أعمال دوستويفسكي لاحقاً لأفلامٍ ومسرحيّات في العديد من دول العالم. الأميرة فارفارا دميتريفنا أوبولنسكايا كانت أول من اقترح على دوستويفسكي ذلك، لم يرفض دوستويفسكي ولكنّه لم يرغب بهذا وقال مُعّلقاً:كل فنّ يتوافق مع أفكارة معيّنة، بحيث لا يمكن التعبير عن الأفكار ذاتها بطرق مختلفة في النهاية حوّلت بعض أعماله لوسائط أخرى، ولعل أبرزها أوبرا المقامر تأليف سيرجي بروكوفييف،وأوبرا من

منزل الأموات تأليف ليوش ياناتشيك، والفيلم الياباني الأبله من إخراج أكيرا كوروساوا كما صَدَر فيلمٌ مصري 1974 مُقتَبس من الإخوة كارامازوف بعنوان الأخوة الأعداء من إخراج حسام الدين مصطفى وبطولة يحيى شاهين ونور الشريف ومحيي إسماعيل وحسين فهمي.

بعد الثورة الروسية عام 1917، مُنِعت بعض كتب دوستويفسكي وخضع أهم كتابان للرقابة: الشياطين، ومذكرات كاتب واعتبرت فلسفته في الشياطين، معاداة للرأسمالية ومعاداة للشيوعية والرجعية أيضاً ووفقاً للمؤرخ بوريس إليزاروف، ستالين قرأ الإخوة كارامازوف عدة مرات.

من أشهر أقوال ديستوفيسكي

تعددت أقوال دوستويفسكي بحيث تشمل أقوال عن الحياة، الموت، والحب فضلاً عن أقواله الأخري عن الجمال وهي كالتالي:

قال دوستويفسكي عن الأسرة:

– وبالفعل، ما هو الهدف في الحياة الأكثر أهمية وتقديساً من الأب؟ إلى ما يجب أن يوجد، إن لم يكن لعائلة واحدة؟.

– حتى التعب قد يكون متعة ، قد تحرم نفسك من الخبز لأطفالك، وحتى يكون ذلك فرحاً، سيحبونك بعد ذلك ؛ لأنك كنت تدخر لمستقبلك.

قال دوستويفسكي عن الجمال:

– الجمال سينقذ العالم.

قال دوستويفسكي عن الموت:

–خذ الجندي وضعه أمام مدفع في ميدان قتال واطلق النار عليه وسيظل الأمل قائما لديه، بينما إذا قرئ حكمًا بالإعدام على نفس الجندي سيصاب بالجنون ويبدأ بالبكاء.

قال دوستويفسكي عن الحب:

– الآباء والمعلمون، وأنا أتأمل، ما هو الجحيم؟ أنا أؤكد أنه هو معاناة عدم القدرة على الحب.

–الحب كنز لا يقدر بثمن بحيث يمكنك استبدال العالم كله به، وتنظيف ليس فقط خطاياك الخاصة ولكن خطايا الآخرين.

قال دوستويفسكي عن الله

– بدون الله كل الأشياء مسموح بها.

أقوال واقتباسات دوستويفسكي من أشهر رواياته:

حب رجل حتى في خطيئة ، لأن هذا هو ما يشبه الحب الإلهي وهو أعلى درجات الحب على وجه الأرض أحب كل خلق الله، وكل حبة رمل فيه أحب كل ورقة، كل شعاع من نور الله أحب هذا الحيوان، حب هذه النبتة حب كل شي.

رواية رسائل من أعماق الأرض

عندما يكبر الأطفال، تشعر أنك مثال، دعم لهم، أنه حتى بعد موتك سيحافظ أطفالك دائمًا على أفكارك ومشاعرك، لأنهم قد استقبلوهم منك، سيأخذون ما يشبهك ويشبه لذلك ترى أن هذا واجب كبير.

وأيضاً:

من بيت طفولتي لم أحضر أي شيء سوى ذكريات ثمينة، لأنه لا توجد ذكريات أكثر قيمة من ذكريات الطفولة المبكرة في

المنزل الأول وهذا دائماً تقريبا إذا كان هناك أي حب وتناغم في الأسرة على الإطلاق في الواقع، قد تبقى الذكريات الثمينة حتى في منزل سيء، إذا كان القلب فقط يعرف كيف يجد ما هو ثمين.

رواية المراهق

– إن الجمال شيء رهيب وفظيع في نفس الوقت إنه أمر فظيع لمن لم يتأقلم معه، لأن الله لا يميزنا إلا بالألغاز.

الأخوان كارامازوف

الحب هو لغز مقدس، ويجب أن يكون مخفياً عن جميع العيون الأخرى، مهما حدث فهذا يجعله أكثر سخاءً وأفضل إنهم يحترمون بعضهم البعض أكثر، ويبنى الكثير على الاحترام وإذا كان هناك حب مرة واحدة، إذا كانوا قد تزوجوا من أجل الحب، فلماذا يزول الحب؟ بالتأكيد يمكن للمرء أن يحافظ عليه فمن النادر أن لا يستطيع المرء الاحتفاظ بها.

– نحن لا نفهم أن الحياة هي الجنة، لأننا لا نملك إلا أن نفهم ذلك،وسوف تتحقق في كل مرة بجمالها، سنحتضن بعضنا البعض ونبكي.

أصدقائي، الله ضروري بالنسبة لي فقط لأنه هو الشخص الذي يمكن أن يكون محبوبًا إلى الأبد.

رواية الشياطين

الله ضروري، وبالتالي يجب أن يكون موجوداً لكني أعلم أنه لا يمكن أن يتواجد رجلاً ليس لديه هذين الفكرتين فإنه لذلك لا يمكن أن يستمر في العيش.

رواية الأبله

– صعد إلى غرفته مثل رجل محكوم عليه بالموت كان عقله فارغًا تماماً، وكان عاجزًا تماماً عن ملؤه بأي شيء ولكن مع وجوده كله شعر فجأة أنه لم يعد يمتلك أي حرية في التفكير أو الإرادة، وأن كل شيء قد تقرر فجأة مرة واحدة وإلى الأبد.

– الصمت دائما جميل، والشخص الصامت دائماً أجمل من الشخص الذي يتحدث.

رواية الجريمة والعقاب

ما أسعد الذين لا يملكون شيئًا يستحق أن يوصدوا عليه

الأبواب بالأقفال.

لا يكفي أن يكون المرء ذكياً حتى يتصرف بذكاء.

إن هذه الاندفاعات المتطرفة تدل على أن أصحابها أناس مؤمنون صادقون، وتدل أيضًا أن الظروف ليست هي الظروف التي يجب توافرها.

إنني أحب معاشرة الشباب من يعرفهم يتعلم كثيرًا من الأشياء الجديدة.

إننا نستطيع عند اللزوم أن نخنق حتى إحساسنا الأخلاقي! إننا نستطيع عند اللزوم أن نحمل إلى السوق كل شيء فنبيعه فيها: الحرية، الطمأنينة، وحتى راحة الضمير !.

يتفق للمرء أحيانًا أن يلقى أناسًا لا يعرفهم البتة فإذا هو يهتم بهم منذ أول نظرة قبل أن يبادلهم كلمة واحدة.

يُخيل إلي أن الرجال العظماء حقًا لا بد أن يشعروا على هذه الأرض بحزن عظيم.

ألست تمحو نصف جريمتك حين تقبل الألم؟

ولكن المرء، عندما تعرّفه إلى شخص من الأشخاص، يكون طائشًا بعض الطيش، غبيًا بعض الغباوة، كما تعلم فهو يرى في ضوء شخصي، ولا يراها كما هي.

لكن الذكاء والغيرة شيئان اثنان لا يتعارضان، ومن هنا يأتي البلاء، ثم إنك من أجل أن تحكم على أحد الناس حكمًا حياديًا، يحسن بك أن تتخلص من بعض الآراء السابقة والعادات اليومية إزاء البشر والأشياء التي تحيط بك.

يقول مثل إنجليزي: مئة أرنب لا تصنع حصانًا، ومئة شبهة لا تصنع برهانًا.

إن الفتنة التي تشع من امرأة أخاذة فاضلة مثقفة يمكن أن تجمل حياتك، وأن تجذب إليك مودة الناس، وأن تحيطك بهالة من المهابة والسحر.

ما العقل إلا خادم الأهواء.

لئن لم يكن في هذا العالم شيء أصعب من الصدق والصراحة، فلا شيء في العالم أسهل من التملق فالصدق إذا اندس فيه عشر معشار من الكذب سرعان ما يخالطه نشاز فتقع فضيحة

أما التملق فإنه إذا كان كذبًا من أوله إلى آخره، يظل سارًا وممتعًا، فالشخص يصغي إليه شاعرًا بلذة إن لم تكن لذة سامية فهي لذة على كل حال. ..... رب فعل يقوم به صاحبه على نحو رائع، ببراعة فائقة وحذق مدهش، ثم يبقى الباعث عليه والدافع إليه مَموهًا، لارتباطه بمشاعر مرضية شتى.

ولكن كيف يمكنك العيش وليس لديك قصة ترويها؟.

ليال بيضاء

إن اتخاذ خطوة جديدة، والتلفظ بكلمة جديدة، هو أكثر ما يخشاه الناس.

الجريمة والعقاب

لقد فقدنا جميعًا الحياة، كلنا يعرج، كل على درجة أكبر أو أقل.

قال دوستويفسكي عن النساء

– كانت تدرك أنها لن تصبح بالتزين سيدة وتدرك أن لكل إمرأة ثياباً تناسبها وذلك أمر ستظل تعجز عن فهمه ألوف بل

مئات الألوف من النساء اللواتي يرضيهن أن تكون ثيابهن على الموضة وكفى.

- إنّ النساء لا يندمن ندماً كاملاً في يوم من الأيام.

- إن تناقضات كثيرة تجتمع لدى النساء.

- المرأةُ مخلوقةٌ لا يعرفُ إلا الشيطان ما في نفسها، حاولْ مرةً أن تعترفَ لها بانكَ أذنبتَ في حقها، وأن تقولَ لها: أنا مذنب، فاغفري لي، اغفري لي لتسمعنَّ منها عندئذٍ سيلاً من ملامات لن ترضى قطُّ أن تغفرَ لك ببساطة، بل ستأخذُ تذلّكَ وتخفضكَ إلى الأرض، معدَّدةً جميعَ أخطائك، حتى تلكَ التي لم تقترفها لن تنسى شيئًا، وسوفَ تُضخمُ كلَّ شيء، وستخلقُ أخطاءً جديدةً عند الحاجة، وبعد ذلكَ فقط سترضى أن تغفرَ لك.

- وخيرُ النساءِ هنَّ اللواتي يغفرنَ على هذا النحو ولكنها ستفرغُ أولاً أعماقَ دروجِ أحقادها وتلقيها على رأسك تلكَ هي القسوةُ الكاسرة المفترسة القابعةُ فيهنَّ جميعاً أعلمُ هذا كذلكَ خلِقن، من أولاهنَّ إلى آخرهنّ، هاته الملائكة اللواتي لا نستطيعُ أن نحيا بدونهن.

– انني لا أطيق النساء، يكفي أن يسمعن نعيق غراب حتى يأخذن يسألن: ما هذا، ولماذا؟.

– قد لاحظت في طبع النساء صفة عامة تميزهن، هي أن المرأة حين تخطئ، تؤثر أن تمحو خطأها بالمداراة والتدليل فيما بعد، على أن تعترف حالا وأن تعتذر عنه، رغم أنها تكون مقتنعة كل الاقتناع بأنها أخطأت.

– ان رغبتي في عدم الزواج تجعلهن ينعتنني بالمجنون، أوليس من الجنون أن نأتي بأطفال في ظل هذه الظروف الحقيره.

قد أكون على خطأ، ولكنني أحسب أن في الإمكان معرفة رجل من ضحكته وحدها ؛ فإذا بدت لك ضحكته محببة، فكن على يقين من أنه إنسان طيب كريم النفس.

–صدق الذين زعموا أن النصف الثاني من عمر الانسان إنما تحدده العادات التي يكون قد اكتسبها في النصف الأول.

–أنا أمرؤ مجنون، هذا كل ما في الأمر، إنه ليكفيني وأنا بغرفتي الصغيرة، في الأعلى، أن أتذكر أو أن أتخيّل حفيف ثوبكِ حتى أكون مُستعدّاً لعضّ أصبعي.

– لقد قيل لي حتى اليوم أحبب قريبك فأجبته: فماذا نجم عن ذلك؟ قد نجم عنه أنني مزقت معطفي إلى جزئين فاصبحنا كلانا عاريين نصف عري، عملاً بالمثل القائل: عندما يطارد المرء أرنبين في آن معا لا يدرك أيا منهما أما العلم فانه يقول: أحبب نفسك قبل الآخرين لأن العالم كله مرتكز على المنفعة الشخصية، فعندما تحب نفسك فإنك تقوم بأعمالك كما ينبغي ويبقى معطفك كاملاً.

– لم أرَ نظرات الحُب الحقيقية إلا على عتبات المقابر، والمستشفيات، نحن أُناسٌ لا نتذكر من نحبهم إلا في النهاية.

–قد أمضيتُ حياتي كُلَّها في الدفاع عن أشياء لن أحظى بها أبدًا، أجلسُ الآن وحيدا، أُمشِّطُ شعرَ الخيبة وأُغنِّي لها.

–حين تستبد كآبة ثقيلة بالنفس التي صارت من المحن في ظلام، تأتي الذكريات فتنعش النفس وتحييها، مثلها كمثل تلك القطرات من الندى التي تضعها رطوبة المساء على الأزهار بعد نهار خانق، فتبعث الحياة في هذه الأوراق الحزينة التي كادت تمحوها الشمس المحرقة.

- أحبك لان عينيك،حين تنظران، تحبان وتخاطبان من أعماق قلبك، وحين تخاطبني عيناك ادرك فورا كل ما تفكر فيه وكل ما يجول في خاطرك، لذلك اريد ان اهب لحبك حياتي وحريتي.

الباب الرابع
النهاية

مرضه بالصرع

ظهرت علامات الصرع على فيودور لأول مرة عندما عَلِم بوفاة والده في 16 يونيو 1839 على الرغم من كونِ مصدر هذه المعلومة ابنته لوبوف التي يعتَبِرها الكثير من المؤرّخين غير ثقة، وقد عَمِل عليها فرويد فيما بعد توفّي والده بشكل أساسيّ من سكتةٍ أصابته، بيدَ أن جاره بافل كلوشانتسيف ادّعى أنه مات مقتولاً من قِبَل أقارِبه، وفي حال تم إثبات التهمة بأنّه قُتِل، كاد كلوشانتسيف ليستطيع شراء الأراضي التي تم إخلاؤها، وقد انتهت القضية بتكذيب الادّعاء في محاكمة في تولا، ولكن شقيقه أندريه دافع عن القصة على العموم، بعد وفاة والده أكمَل فيودور دراسته وتخرّج من الأكاديمية وأعطيَ لقب مهندس عسكري، مما خوّله الذهاب والعيش بعيداً

عن الأكاديمية فذهب وزار أخوه ميخائيل في رافل، وحضر المسرحيات وعروض الأوركسترا والباليه وخلال تلك الفترة، اثنين من أصدقاءه عرّفوه على المقامرة.

سنواته الأخيرة ووفاته 1876–1881 في أوائل عام 1876، واصل دوستويفسكي العمل على مذكراته تضمن الكتاب العديد من المقالات والقصص القصيرة عن المجتمع والدين والسياسة والأخلاق باعت المجموعة أكثر من ضعف عدد نسخ كتبه السابقة وقد راسله عدد من القُرّاء أكثر من أي وقتٍ مضى، وزاره الناس من جميع الطبقات والأعمار والمهن، وزادت شهرته في كامل روسيا وبمساعدة من شقيق آنا، اشترت الأسرة منزلاً في ستارايا روسا في صيف عام 1876، بدأ دوستويفسكي يُعاني من ضيق في التنفس مرة أخرى.

وقد زار إمس للمرة الثالثة وأخبره الطبيب أنه قد يعيش لمدة 15 عاماً آخر في حال انتقل لبيئة صحيّة أكثر وعندما عاد إلى روسيا، طلب القيصر ألكسندر الثاني من دوستويفسكي زيارة قصره لمناقشة واستعراض مُذكّراته، كما طلب منه المكوث

وتأديب وتعليم ابنَيه سيرجي وبولس.

زادت هذه الزيارة من معارِف فيودور، وكان ضيفاً معتاداً في العديد من الصالونات الأدبية في سانت بطرسبرج والتقى بالعديد من الناس الشهيرة، بما في ذلك الأميرة صوفيا تولستايا والشاعر ياكوف بولونسكي وسيرجي ويت والناشر والصحفي أليكسي سوفورين وأنتون روبنشتاين وإيليا ريبين.

تدهورت صحّة فيودور أكثر فأكثر، وفي مارس 1877 أصابته أربعة نوبات صرع وبدلاً من العودة إلى إمس، زار مالي بريكول وهي مزرعة بالقرب من كورسك أثناء عودته إلى سان بطرسبرج لإنهاء مذكراته توقّف قليلاً في بلدة داروفوي المكان الذي نشأ فيه وفي ديسمبر من نفس العام، حضَر جنازة نيكراسوف وألقى خطبة التأبين الرئيسية، التي أكد فيها أن نيكراسوف كان أعظم شاعر روسي منذ ألكسندر بوشكين وميخائيل ليرمنتوف وقد عُيّن عضواً فخرياً في الأكاديمية الروسية للعلوم، وحصل على شهادة فخرية منها في فبراير1879 انتقلت العائلة لاحقاً إلى الشقة التي كتب دوستويفسكي فيها أعماله الأولى وفي تلك

الفترة، انتخب عضواً في مجلس إدارة الجمعية السلافية الخيرية في سانت بطرسبرج وفي ذلك الصيف، انتخب عضواً في اللجنة الفخرية لرابطة ليترير وأرتيستيك إنترناتيونال وتضمّ أعضاءً مثل فكتور هوجو وإيفان تورجينيف وبول فون هايس وألفريد تنيسون وأنتوني ترولوب وهنري وادزورث لونجفيلو ورالف والدو إمرسون وليو تولستوي وقد كانت زيارة دوستويفسكي الرابعة والأخيرة لـ إمس في أوائل أغسطس1879وشُخّص بأن لديه انسداداً رئوياً مزمناً، وقد اعتقد طبيبه إمكانية علاجه، ولكن لم يتم ذلك.

في 3 فبراير1880، انُتخِب دوستويفسكي نائباً لرئيس الجمعية السلافية الخيرية، ودعي لإلقاء خطاب في الكشف عن نصب بوشكين التذكاري في موسكو، وهو الخطاب الذي ألقاه على شرف الشاعر الروسي ألكسندر بوشكين وقد ألقى خطابه في 8 يونيو وكان له أثر عاطفي كبير لدى المستمعين بسبب أداءه، وقد قوبِلَ خطابه بتصفيق حار، وحتّى منافسه التقليدي تورجينيف أثنى عليه وقد نشر الكاتب كونستانتين ستانيوكوفيتش مقالاً بعنوان ذكرى بوشكين وخطاب دوستويفسكي في مجلة

Delo وقال فيها :لغة دوستويفسكي في الخطاب لغةٌ خطابيّة حقيقيّة، يتكلّم بلهجة وثقة رسول مُرسَل، بلغةٍ عميقةٍ وصادقة، استطاع من خلالها إيصال المشاعر للمستمعين انُتقِدَ الخطاب لاحقاً من قِبَل عالم السياسة الليبرالية ألكسندر جرادوفسكي الذي وصف دوستويفسكي بأنه معبود الشعب، والمفكر المحافظ كونستانتين ليونتيف الذي قارن الخطاب بالاشتراكية اليوتوبية الفرنسية في مقاله حب عالمي أدى ذلك النقد الحاد لازدياد حالته سوءاً.

في 26 يناير 1881، عانى فيودور تمزّقاً رئوياً حاداً، كان ذلك بعدَ يومٍ من القبض على جار دوستويفسكي الذي انتمى لمنظّمة نارودنايا فوليا التي قامت باغتيال القيصر ألكسندر الثاني وبعدَ نزفٍ ثانٍ، تواصلت زوجته آنا مع الأطباء الذين لم يفهموا علّته، ثُمّ تَبِع ذلك نزيف ثالث بوقت قصير.

جنازة دوستويفسكي:

فـارَق فيودور دوستويفسكي الحياة في 9 فبراير 1881 مُتأثّراً بمرضه وكانت آخر كلماته ما اقتَبسه من إنجيل متى

الإصحاح 3: 14-15وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ وعندما توفّي وُضِعت جثّته على الطاولة وفقاً للعادات الروسيّة وقد دُفِنَ في مقبرة تيخفين في دير القديس ألكسندر نيفسكي في سانت بطرسبرج بالقرب من الشاعرين نيكولاي ميخائيلوفتش كرامزين وفاسيلي جوكوفسكي ومن غير الواضح تاريخيّاً كم شخصاً حضر جنازته ووفقاً لما ذكره أحد الصحفيين فإن أكثر من 100 ألف من المشيعين كانوا حاضرين، بينما يصف آخرون أن الحضور كان بمدى 40 إلى 50 ألف وقد نُقِشَت على شاهد قبره اقتباس من إنجيل يوحنا الإصحاح 12:24 :اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ.

التشريفات والتكريمات

في عام 1956، صدر طابع بريد أخضر مُخصّص لدوستويفسكي في الاتحاد السوفيتي وقد افتُتِح متحف

دوستويفسكي في 12 نوفمبر 1971 في ذات الشقة التي كتب فيها رواياته الأولى والأخيرة وقد سُمّيت فوهة صدمية على كوكب عطارد باسمه تكريماً له عام 1979، وكوكب صغير سُمّيَ باسمه من اكتشاف عالم الفلك الروسي ليودميلا كاراشكينا عام 1981بالإضافة لبرنامجٍ إذاعي يحمل اسمه منذ 1997وظهر دوستويفسكي ليكون الشخصية الرئيسية في رواية جون ماكسويل كويتزي سيد بطرسبرج مشاهدوا برنامج التلفزيون باسم روسيا أدلوا بصوتهم ليكون دوستويفسكي تاسع أعظم شخصيّة في روسيا على مر العصور، ليكون وراء الكيميائي ديمتري مندليف وقبل إيفان الرابع وقد عُـرِض مسلسل تلفزيوني يوثّق حياة دوستويفسكي عام 2011 من إخراج فلاديمير خوتيننكو في عام 2011 وحاز على جائزة جولدن إيجل.

هناك عدد من النصب التذكارية موجودة في مختلف المدن الروسية والأوروبية مثل موسكو وسانت بطرسبرج ونوفوسيبيرسك وأومسك وسيميبالاتينسك وكوسنتسك وداروفوي وستارايا روسا وليوبلينو وتالين ودرسدن وبادن بادن وفيسبادن وافتُتحت محطّة ميترو دوستويفسكي في سانت بطرسبرغ في 30 ديسمبر

1991، ومحطة بنفس الاسم في موسكو في 19 يونيو 2010 وذلك في الذكرى الـ75 لافتتاح شبكة النقل في موسكو، وقد زينت محطة موسكو بجدران من قبل الفنان إيفان نيكولايف تصور مشاهد من أعمال دوستويفسكي.

مكانته

يعتَبر دوستويفسكي اليوم من أعظم الأدباء الروس وأعظمهم في العالم وقد مدحه ألبرت أينشتاين عظمه على أمير الرياضيات كارل جاوس حيث قال:إذا سألتني بمن أنا مُهتَم حالياً فسأجيبُك بدوستويفسكي دوستويفسكي قدّم لي أكثَر ما قدّمه أيُ عالمٍ من قبل بما فيهم جاوس نفسه ووصفه بأنه كاتب ديني عظيم يستكشف سر الوجود الروحي كما وصفه فريدريك نيتشه وقال:النفساني الوحيد الذي كان لديه شيء ليُعلّمني إياه، إن معرفتي به كان أعظم شيء حصل لي في حياتي واستمتع هرمان هيسه بقراءة أعماله واستمر فى قراءتها واحداً تلو الآخر بلا توقّف على حد تعبيره وكتب الروائي النرويجي كنوت همسون:لم يُحلّل أحد من قبل الهيكلية النفسية المعقدة للإنسان كما حللها

دوستويفسكي. حسّه النفساني عظيم ومثالي.

في كتاب وليمة متنقلة لـ إرنست همينجواي وصف دوستويفسكي:هناك أشياء يمكن تصديقها والإيمان بها [في الكتب] وأشياء لا، ولكن الحقيقة الحقيقية أنك ستتغير بمجرد القراءة لأعمالهم وأشاد جيمس جويس بالكتابة النثرية لدوستويفسكي:أكثر كاتِب أثّر في الكتابة النثرية الحديثة ونقلها لتكون معاصرة للحاضر، كانت قوته المتفجرة التي هشّمت الرواية الفيكتورية وغيّرت مساراها وقد وصفه كافكا بأنه أحد أقربائه الفطريين، وكان تأثير دوستويفسكي على كافكا كبيراً ولا سيما الأخوة كارامازوف والجريمة والعقاب، وظهر هذا التأثر في رواية كافكا المحاكمة وقال سيجموند فرويد واصِفاً الأخوة كارامازوف :أجمل رواية وأكثرها روعة على الإطلاق الحركات الثقافية الحديثة كَالسريالية والوجودية والبيت نوّهوا لكون دوستويفسكي أحد المؤثّرين عليهم، واستُشهِدَ بكونِه رائداً للحركة الرمزية الروسية والوجودية والتعبيرية والتحليل النفسي.

روائع يجب قراءتها لفيودور دوستويفسكي:يعتبر فيودور

دوستويفسكي من أهم الأدباء في العالم وقد وصف من قبل العديد بأنه من أكثر الكتاب الموهوبين في العالم، صور لنا وغاص في أعماق النفس البشرية، شاركنا من خلال أعماله بالأسئلة الفلسفية الكبرى التي تتحدث عن الإيمان والغفران والأخلاق، والإخلاص والتي قام بتحليلها بطريقة ذكية جداً وبالطبع هذه المواضيع الفلسفية لا تزال حتى اليوم تدغدغ داخل العقل البشري، وبسبب هذه المواضيع وطريقة تحليله المميزة فإن كتاباته تعد جديرة بالقراءة ويجب على الجميع قراءتها.

كانت أولى الروايات التي قرأتها لدوستويفسكي الأبله والتي اعتبرها من أروع الروايات التي قدمها، بالإضافة إلى الأخوة كارامازوف الذي يتناول فيها مختلف المواضيع النفسية والاجتماعية والسياسية والدينية فكانت قوة كتاباته تكمن في صدقها ورغم الإطالة والإفاضة فى الأحاديث والحوارات فإنك لا تشعر بالملل وتتمنى أن لاتنتهي الرواية لتبدأ فى رحلة ممتعة صادقة مع هذا الكاتب الموهوب وتجعلك تصاب بالحزن لأن الرواية اقتربت من الانتهاء، وتشعر كما لو أنك تقرأ عن شخصيات حقيقية، يصور لنا ويصف من خلالها كيف أن الأفكار

لديها القدرة على تغيير حياة الإنسان وهنا خمسة من أهم روايات دوستويفسكي التي يجب عليك أن تقرأها.

ملاحظات من تحت الأرض/ الإنسان الصرصار

تعتبر هذه الرواية واحدة من أكثر الكتب فلسفة حيث يتطرق فيها إلى المعضلات الوجودية ويقوم من خلالها بفتح جدل مع الفلسفة الغربية الحديثة بطل الرواية يعاني مما سمي لاحقاً مرض القرن يحدثنا عن السخافة أو الخمول الخارج من ألمه الجسدي والعقلي إلى جانب بعض الأفكار ومعتقدات الشخص الذي تدور حوله القصة مثل أن التقدم لا يستحق أي جهد وهذه الفكرة طرحت فيما بعد عند العديد من الكتاب والفلاسفة مثل جان بول سارتر وايتالو سفيفو، ويعتبرها البعض أول رواية في الفلسفة الوجودية.

الغايات يا سادة أن لا يفعل المرء شيئاً البتة إن القعود عن الفعل والخلود إلى التأمل مُفضلان على أي شيء آخر.

الجريمة والعقاب

نشرت في عام 1866 وهي ثاني رواياته الكاملة كتبها

بعد عودته من المنفى في سيبيريا، يكشف لنا فيها مفاهيم الجريمة والخلاص من خلال المعاناة، وتركز على الألم النفسي والمعضلات الأخلاقية التي يعاني منها راسكولينكوف وهو طالب فقير يعيش في غرفة صغيرة يرفض المساعدة من أي أحد.

يخطط وينفذ جريمة قتل بدم بارد لامرأة عديمة الضمير تقرض المال، وفي محاولة للدفاع عن أفعاله يقول أن بأموال المقرضة يمكن القيام بالأعمال الصالحة لمواجهة الجريمة ونتخلص من الحشرات التي لا قيمة لها ويقارن نفسه بنابليون ويشارك اعتقاده بأن القتل مسموح لتحقيق هدف أسمى.

هنالك أشخاص نجهلهم تماماً، ولكن عندما نلتقي بهم نشعر بشيء يدفعنا إلى التقرب منهم حتى قبل أن نبادلهم حديثاً.

الأبله

هذه الرواية من عام 1869 وتعد واحدة من أهم أعمال دوستويفسكي تصور لنا الفروق الدقيقة في الحياة الاجتماعية لأحد النبلاء الشباب الروس الذي يدعى ميشكين الذي عاد إلى سانت بطرسبرج بعد أن كان يعيش في مصحة في سويسرا وكما

يوحي العنوان بطل القصة هو رجل ساذج واثق أكثر من اللازم يتكلم دون أن يعير اهتمام لأحد يملك طيبة طفولية، ومثالي لدرجة كبيرة.

يحاول قدر المستطاع أن يحقق السعادة لأعدائه وأصدقائه، مما يؤدي ذلك به إلى الكثير من المتاعب نظراً لأنه يتعامل مع العديد من الشخصيات منها الماكر ومنها الفاسد ومنها الأناني.

اعلموا أنّ هناك حدًا للغمِّ والقهرِ والنكَدِ الذي يُحدثُهُ في نفسِ الإنسانِ شعورهُ بأنهُ لا شيء، وبأنهُ عاجزٌ، فإذا تجاوزَ الإنسانُ ذلك الحَد غَرِقَ في لذّةٍ خارقة.

الأخوة كارامازوف

هي آخر روايات دوستويفسكي في عام 1880 وفي رأي العديد أنها أكبر وأعقد رواية له، أمضى في كتابتها عامين تقريباً، وتوفي بعد أقل من أربعة أشعر من تاريخ نشرها، وهي رحلة رائعة يتحدث فيها عن مأساة أسرة كارامازوف وتناقش العديد من المواضيع المختلفة منها الأخلاق والإيمان ويبحر في تصوير النفس البشرية.

وفي نفس الوقت الرواية هي قصة جريمة رائعة يحاول فيها القارئ أن يكتشف من قتل الأب لأبنائه الثلاثة حيث ترمز كل شخصية منهم إلى فكرة معينة العقل والجسد والروح.

كان لهذه الرواية تأثير عميق على العديد من الكتاب والفلاسفة من بينهم ألبرت أينشتاين، لودفيج فيتجنشتاين، مارتن هايدجر، كورماك مكارثي، وكورت فونيجوت، وسيجموند فرويد، فرانز كافكا.

إن من يكذب على نفسه، ويرضى أن تنطلي عليه أكاذيبه، يصل من ذلك إلى أن يصبح عاجزاً عن رؤية الحقيقة في أيّ موضع، فلا يعود يراها لا في نفسه ولا فيما حوله، وهو ينتهي أخيراً، لهذا السبب، إلى فقد احترامه لنفسه واحترامه لغيره.

عن ديستوفيسكى البداية التي تعتمد على فكرة السير عارياً بين قراء لم يولدوا بعد لا تكون وليدة موهبة تنطلق من مضمون كتابة روتينية تهتم بإسعاد القارئ أوبإغراقه في واقع مرهون بأمل مشوه للأعضاء بل تعتمد على طريقة شرح الحزن بجمال أكبر وعرض الواقع والشخصيات بكاميرات داخل نفس كل

شخصية.

هي المأساة إذاً، المأساة التي تعتمد على لذة معينة في ما يخلقهُ دوستويفسكي من شخصيات روائية ترصد في معاناتها لذة التعرض للألم، ليسعلى محتواها الشخصي الذي تقوم عليه بل حتى على من هم أهم منها من شخصيات،أو أرفع منها رتبة بتعبير أدبي روسي، فلا يمكنني القول أن الغباء هو المادة التي اعتمد عليها دوستويفسكي ليبني عليه أساس شخصياته القصصية، بل يمكن أن أقول أنها طيبة القلب كما نسميها في مجتمعاتنا أو البلاهة إذا أردنا أن نستخدم كلمة أدبية أكثر دقة، ومن جانب آخر حاول الكاتب الروسي أن يخلق زاوية خامسة في مربع الشخصية البشرية هي فعلياً موجودة ولكننا لا نراها أو لا نشعر بها في حياتنا اليومية لذلك لم يكن همّ دوستويفسكي اكتشافها أمامنا بقدر ما كان همه خلقها لنا بطريقة جديدة وتقديمها لنا بصورة أدبية والدليل هو أنهُ سبق نظريات علم النفس التي أنشأها فرويد وآدلر، وبهذا الخلق الذي جعل دوستويفسكي مصحةً للأمراض النفسية استطاع القارئ أن يبحر مع كل عمل نحو داخلهِ الذي لم ينتبه لهُ قبل

الآن وهذا ما ظهر في قصة المِثل أو قلب ضعيف، في القصتين يصور الكاتب جوهراً بشرياً مريضاً ولكن الحقيقة أنكَ قد تكون أنتَ جزءاً منه دون أن تعلم.

بدايات دوستويفسكي التي سجلت في أعماله الكاملة أو مجلداته الثماني عشرة، تتضمن مجموعة من القصص التي أظهرت لنا الشخصية الشابة للكاتب الروسي التي كانت تنعكس على أعماله، كانت قصة الفقراء من أول الأعمال التي نشرها دوستويفسكي، ولم تظهر القصة للجميع مدى عبقرية الكاتب في اختيار نمط الفكرة التي اختارها، والتي كانت دليلاً على توجّه دوستويفسكي الاجتماعي نحو ما ذكرتهُ قبل قليل فئة ضعاف القلوب هذه الطبقة الاجتماعية التي تقف فوق خط فاصل بين التشرد والرتب العالية، ولكن لم يكن دوستويفسكي مدافعاً عنهم بقدر ما كان يهتم بتحليل شخصيات أبطاله ليعبر أعمق الأغوار في النفس البشرية، عندما تقرأ الفقراء لأول مرة ستظن أنك أمام عمل اجتماعي بحت، وهذا تحديداً ما دفع البعض ليظن أن مهمة دوستويفسكي هي الدفاع عن الفقراء في وقت كان هو فيه يؤسس لمنطلق روائي فلسفي يهتم بجوانب اجتماعية لا تولد

بطريقة عفوية ولا تفهم للوهلة الأولى بل احتاجت لأعمال روائية كثيرة واستغرقت سنين ليتم إنتاجها، ولكن قصة الفقراء كعمل أول لم تظهر هذا الجانب الفلسفي أو النفسي الذي سيعتمده الكاتب ولكنها كانت البذرة الأولى للانتقال بطريقة أهم وأكبر نحو أعمال أدق تفصيلاً، وبذلك كانت قصة الفقراء قاعدة لمنهج دوستويفسكي المستقبلي لما تحويه من إظهار تعاسة حاضرة دائماً في العالم، ولتكون المنبر الأول لتحليل قاعدتين أساسيتين في المجتمع هما الخير والشر.

قام دوستويفسكي في بداياته خاصة في قصصه المبنية على بطل واحد بتجريد الشخصية الأساسية من كل خبث المجتمع وسيئاته حتى لو ارتكبت هذه الشخصية أي عمل دنيء في نظر القارئ فسيكون هذا العمل نتيجة لضغوط تحتمها أحداث القصة وهو الضغط التي يحدثُهُ الكاتب لتقوم شخصية بريئة بعمل قاسٍ، وهذا فعلياً لم يظهر بشكل قوي وكامل في بدايات دوستويفسكي ولكن مع تطور الأسلوب الأدبي ظهرت هذه النقاط التي قد فتحت أبواباً جديدة في شخوص الرواية الواحدة، وحتى خاتمة الأعمال التي اختارها كانت تعتمد على تعاسة سوداوية

جداً، فالأبطال الذين اعتمدهم الكاتب في مرحلة البدايات كانوا يسيرون في نهاية قصصهم نحو موت بطيء أو وحدة تدعو للمزيد من السكر والتعاسة، ولا أدري كيف توصل دوستويفسكي بطريقة ما لشرح هذه البعد النفسي الذي استطاع التعبير عنهُ في كل من قصص الفقراء والمِثل والليالي البيضاء حيث كان المنهج الوحيد للعمل هو عرض تعاسة جميلة على الرغم من أنها قد تدفعك للبكاء ولكنها تدفع للمتعة أيضاً ليس بما يتعرض لهُ البطل من ألم بل بما تكتشفهُ من جوهر بشري، فغالباً ما كان الموت أو الوحدة هي خاتمة أبطال القصص التي نشرها دوستويفسكي في بداياته، وهذا ما مهد لانقسام شخصيات أعماله إلى فئتين فئة متحكمة حكومياً واجتماعياً تسخر من الجميع وتكون لها في بعض الروايات قدرة على التحكم الكامل في الأحداث، وفئة تتلقى صفعات المجتمع الراقي وتستقبل سخريته بإنشاء أمراض نفسية جديدة، وهذا ما ظهر أكثر في قصة الفقراء أو المثل بما أننا نتحدث عن البدايات، ففي القصتين يوجد فئة ضعيفة لا تدري كيف يجب أن تنهي عذابها، وفئة تجعل من هذا العذاب مادة للسخرية، وغالباً ما كانت الفئة

المتحكمة هي التي تحصل على سعادتها الكاملة في وقت تموت فيه الفئة الضعيفة بعذابها، أو تتجه نحو السكّر المحبط الذي يقود للموت أيضاً، طبعاً مع تطور فكر وأسلوب دوستويفسكي تتطور آلية عرض الشخصيات التي تتركز عليها الرواية أو القصة، لتصبح أكثر تشعباً وعمقاً.

لم تكن بداية دوستويفسكي الأدبية ابنة نفسه فقط، وبعض ما ذكر من أفكار أو مواقف وحتى قصص كاملة كانت ناتجة عن تأثر دوستويفسكي بأسلوب أدبي روسي الهوية اعتمده الكاتب جوجول خاصة في قصتي المعطف والأنف فالمأساة الجميلة التي صورها الكاتب جوجول في قصة المعطف تشبه بشكل كبير ما اعتمد عليه دوستويفسكي في قصة الفقراء، ولا يمكن هنا أن نقول ما حصل هو سرقة أدبية واضحة لأن دوستويفسكي في تلك المرحلة كان في طور التأثر بالكاتب جوجول وهذا دليل على أن لا كاتب يولد من نفسه فقط فلا بد من أدب حقيقي وناضج ليحمل أول الأفكار التي يعتمدها الكاتب، ففي المعطف كان جوجول جارحاً لفئة الفقراء فلم يجعل بطل القصة أداة للسخرية فقط بل غبياً بطريقة مضحكة، وهنا اختلط الأمر بين

ما يرتكز عليه العمل فمن جهة تعرض القصة مأساة فردية ومن جهة أخرى تعرض سخرية غير شرعية في حق بطل الرواية الذي ينتمي لفئة الفقراء، وهذا الأمر الذي تجنبه دوستويفسكي في عملهُ الأول فبرغم صعوبة حياة بطله في قصته الأولى الذي كان موظفاً بسيطاً فقيراً لكنه جعله صاحب رسالة إنسانية حقيقة، وعلى الرغم من كل مواقف السخرية التي تعرض لها بطل دوستويفسكي في الفقراء فلقد كان دائماً في عيون القارئ البطل صاحب البعد الإنساني، ولم يظهر بطريقة غبية تقود للضحك، وهنا يظهر الفرق بين دوستويفسكي وجوجول، فعلى الرغم من تأثر دوستويفسكي بهِ إلا أنه لم يسقط في دائرة التقليد الأعمى للعمل الكامل فلقد أضاف عليه عمقه الشخصي أو أدواته الأدبية التي تطورت مع زيادة نتاج أعماله وكان النقاد الروس في مرحلة دوستويفسكي لم يكونوا قادرين على استيعاب ما يولد في نفس الكاتب ولا ما قد ينتهي إليه من مستوى عالٍ، فقد كان نقاد تلك المرحلة غير قادرين على معرفة قدرة هذا الأسلوب على التطور وما تدل عليه هذه القصص من اكتشاف أبعاد جديدة في حدود الأعمال القادمة، وخاصة ما

تدل عليه قصة الفقراء من شرح واضح لما تتعرض لهُ بعض فئات المجتمع من ضغط وفيما تؤدي هذه القصة من دور في تفسير الأغوار التي يعاني منها المذلون المهانون كما يسميهم دوستويفسكي، ورغم اتهام دوستويفسكي بأنه قلد جوجول في عملهِ الأول واتهامه بالكآبة والسوداوية وإظهار عذاب البشرية بطريقة مؤلمة للقارئ، فلقد اتجه بعض الكتاب لمدح العمل الأول وأغلب أعمالهُ الأولى، مثل الناقد بيلنسكي الذي قال عن قصة الفقراء:المجد والشرف للشاعر الشاب الذي تحبهُ آلهة وحيه سكان السقوف والأقبية وتقول عنهم لأصحاب القصور المذهبة هؤلاء بشر أيضاً هؤلاء أخوتكم، والذي مدح قصة المثل في وقت كانت تتعرض القصة للكثير من النقد لما فيها من إسهاب ووتقليد للكاتب جوجول.

هذا كله من منطلق الجدية التي اعتمد عليها دوستويفسكي مع أعمالهُ الأولى، ولكن بطريقة لن تتكرر مع الأعمال الكاملة اعتمد دستويفسكي على السخرية في عمل واحد نشره مع بداياته القصصية،عرضت هذه القصة جانباً جديداً في نمط كتابة دوستويفسكي أو سلطت الضوء على الجانب المعاكس

لشخصية دوستويفسكي الحقيقة، ومن خلال هذا العمل يمكن أن نرى الشيء المختلف كلياً في أدب دوستويفسكي ولا يمكن أن نحدد أسباب كتابة هذه القصة سوى بمدى التأثر بكتابات جوجول مرة أخرى، لأن دوستويفسكي المرتكز على كتابة رصينة نفسية ممتلئة بعذاب بشري لا يمكن أن ينبع منهُ وبكل قواه سخرية قصصية تعتمد على أحداث خيالية، فلقد كانت التمساح نتيجة لتأثر دوستويفسكي بقصة الأنف للكاتب جوجول، فإن السخرية التي قدمها جوجول في قصة الأنف من خلال الأمير الذي أصبح وجهه بلا أنف، اعتمد فيها الكاتب على الخيال القوي لأنه صور أن الأنف أصبح شخصية مستقلة وبرتبة عسكرية، هو ذات الأمر الذي اعتمد عليه دوستويفسكي عندما قدم قصة التمساح حيث قدم في القصة شخصية الموظف الحكومي الذي ابتلعهُ تمساح في حديقة عامة، الموقف الذي أعطى الحكومة ضرورة إعطاء التمساح أهمية أو رتبة وهي ذات الرتبة التي كانت للموظف، ولهذا بدأ الموظف بوضع الخطط الاقتصادية من داخل التمساح، فمن خلال هذا التشابه الواضح في تصوير المواقف والشخصيات بين ما ورد في الأعمال لدى الروائيين،

يظهر الترابط بين بداية دوستويفسكي وتأثره بقصص جوجول الأمر الذي دفع دوستويفسكي للرد بجملة شهيرة لقد ولدنا جميعاً من معطف جوجول.

بدايات دوستويفسكي التي استمرت لسنين انتهت عندما وجد شخصيته الأدبية الكاملة والناضجة ليقدم بعد هذه القصص أهم الأعمال الأدبية العالمية مثل الأبله والشياطين ورواية الجريمة والعقاب وكل العوامل التي ساعدت على كتابة هذه البدايات هو فكر دوستويفسكي الفلسفي وإحساسه الأدبي النفسي بالإضافة لتأثره بالكاتب جوجول بالإضافة لجانب غامض من دوستويفسكي نشره في أغلب أعماله، هذا الجانب هو حياته الخاصة والصعبة التي دفعته في بعض الأعمال إلى ذكر جوانب منها، وهذه النقطة ظهرت في مرحلة البدايات وظهرت في الكثير من الأعمال التي قدمها دوستويفسكي،وكثيراً ما فسر دوستويفسكي مخاوفه وآلامه وحتى جنونه بقصص قدمها لنا، وكأنهُ يعالج نفسه بهذه القصص التي لا تعتمد على إسعادنا أو إغراقنا بوقع مرهون بأمل مبتور الأعضاء، بل تفسر الحزن بطريقة جمالية أكثر.

غواص نفس وصانع شغف

يرى البعض أن الأدب ترف والمؤكد أنه ضـرورة؛ يمنحنا براحاً نحتاجه ويضاعف من فهمنا لأنفسنا وللنفس البشرية، ومن أهم الأدباء فيودور دوستويفسكي؛ الروائى الروسى الذى صنع مكانته وترجمت أعماله لمعظم لغات العالم وعاشت ومنحته حياة أخرى بعد وفاته وأثبتت صدق قوله: «هل يضجرك كثيرا أن تظل طويلا لا يراك أحد؟ الأمر ليس مرهونا بالزمن بل مرهون بك؛ كن شمسا فيراك جميع الناس.

أثبت دوستويفسكى تميزه بـالـروايـة 11روايـة والقصص القصيرة وكتب ثلاث روايـات قصيرة ومقالات عديدة، انفرد بالغوص بمهارة فى النفس البشرية واعترف رواد الطب النفسى بدوره فى كشف تفاصيل الصراعات النفسية ومساعدته للطب النفسي تمكن دوستويفسكى من الاستحواذ على شغف قارئه الذى تأخذه تفاصيل الشخصيات ومشاعرها فلا يترك الرواية إلا بعد الانتهاء من قراءتها ويحتفظ بالكثير منها فقد أهداه الكاتب خلاصات تجاربه الإنسانية وكيف لا؟ وهو الذى واجه موت والديه وهو شاب بعد أن غرسا فيه حب الأدب فكانت أمه

ومربيته تحكى له القصص والأساطير، وأعطاه والده الطبيب أهم الكتب الأدبية التى شكلت وجدانه الأدبى ثم درس الهندسة وعمل بها ثم تركها ليتفرغ للأدب أصدر أول رواية المساكين وهو في الخامسة والعشرين، وواجه الحكم بالاعدام لانضمامه لجماعة أدبية تناقش الكتب الممنوعة بروسيا، وخفف عنه الحكم باللحظات الأخيرة وقضى بالسجن أربعة أعوام يؤدى الأشغال الشاقة، وتعرض للعذاب بالمنفى ستة أعوام بسيبريا..ثم واجه صعوبات الحياة فانتصر أحيانا وهـزم مـرات، أدمـن القمار وتعافى منه وكتب روايته البديعة المقامر لم ينس طفولته بجوار المستشفى المتواضع ورؤيته للمرضى الفقراء وتعاطفه معهم وكتب أجمل أعماله مذلون مهانون وعايش القراءأبطال الرواية ليروا ماذا سيفعل بهم المؤلف وتنفطر قلوبهم ويشتبكون معهم فى تفاصيلهم لبراعة الكاتب ويلمسون بأيديهم ماذا يفعل الفقر عند اقترانه مع الذل بالنفوس وكيف يعبث بحياة الخاضعين له.

وفى الجريمة والعقاب كتب عن شاب فقير يعتز بنفسه يقتل عجوزا وأختها للاستيلاء على أموالها ورأينا هذا الشاب وهو يتنفس الإحساس بالذنب ويبتعد عن الجميع ويفكر بجدية فى

الانتحار.

وكعادته غرد دوستويفسكى خارج السرب وقدم أول رواية وجودية فى تاريخ الأدب وهى رواية الإنسان الصرصار وكتب اسمه بهذا الإبداع كأحد مؤسسى الفلسفة الوجودية بالعالم وقد أقر بفضله فلاسفة الوجوديةعانى دوستويفسكى من الصرع منذ صباه الباكر ونجح فى تصوير معاناة وتصرفات مريض الصرع فى روايته الأبله التى تتحدث عن أمير طيب مريض ويعامل الجميع؛ أعداءه وأصدقاءه بطيبة، فيرونه كالأبله وتعد رواية الاخوة كرامازوف آخر روايات دوستويفسكى من أهم الروايات بالعالم؛ وتعرض لصراع أب مع أبنائه محللا شخصياته نفسيا ببراعة متفردة.

المحتويات

مقدمة 5
الباب الأول: حياته الشخصية 7
من هو؟ 7
طفولته 1821–1835 8
نشأته وصِباه 9
حياته المهنية المبكرة 14
معتقداته الدينية 15
علاقاتُه خارج الزواج 17
الباب الثانى: توجهاته السياسيّة 20

النفي إلى سيبيريا 1849–1854 23
الخروج من السجن وزواجه الأول 1854– 1866 27
فيودور دوستويفسكي في باريس عام 1863 29
زواجه الثاني وشهر العسل 1866–1871 30
العودة إلى روسيا 1871–1875 34
الباب الثالث: أعماله 36
من رواياته: 42
أفضل قصص قصيرة من تأليفه 42
النقد 51
الشهرة: 52
من أشهر أقوال ديستوفيسكى 54
الأخوان كارامازوف 57
رواية الشياطين 58

رواية الأبله 58
رواية الجريمة والعقاب 58
الباب الرابع: النهاية 66
مرضه بالصرع 66
جنازة دوستويفسكي: 70
التشريفات والتكريمات 71
مكانته 73
غواص نفس وصانع شغف 89